سلسلة

من معين أئمة الدين

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مِنْ مَعِينِ أَئِمَّةِ الدِّينِ

أولويـــــات في طلب العلم

عن الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: "أَوَّلُ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ: الصَّمْتُ، وَالثَّانِي: اسْتِمَاعُهُ، وَالثَّالِثُ: الْعَمَلُ بِهِ، وَالرَّابِعُ: نَشْرُهُ وَتَعْلِيمُهُ"

(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب (برقم:326).)

التعليق

هذا الأثر نحتاجه كثيرًا في العلم، ويحتاجه طلبة العلم في جميع المجتمعات؛ لأن طالب العلم إن أراد أن يستفيد في طريقه في طلب العلم فليكن:

- أولًا: يتحلى بالصمت؛ "أول العلم الصمت"، فإن كان طالب العلم متحلٍ بهذه الصفة فإنه يستوعب العلم، وإن أتاه العلم كان مستمعًا له فيستفيد منه، لكن إذا كان كثير الكلام في هذه المرحلة الأولى فإنه يفوته حسن الاستماع والمفوت للفهم.

- وثاني هذه الأمور بعد الصمت: أن يكون مستمعًا، حاضر الذهن والقلب؛ لأن ذهاب القلب وعدم استماعه في الدرس سببٌ للمضلّة في الفهم أو البُعد أو الخطأ في الفهم، الاستماع معه الحفظ، الذي تسمعه من العلم لا بُد أن تحفظه وما تحفظه لا بُد أن تفهمه، فإن كنت لا تحفظ ولا تفهم أو تحفظ ولا تفهم أو تفهم ولا تحفظ دخل النقص على طالب العلم على قدر فوات حظه من الحفظ والفهم.

ثم المرحلة الثالثة يُثبِّت هذا الحفظ بالعمل؛ فإن العلم بالعمل من مُثبتات العلم ومن أسباب النجاة؛ لأن المقصود من العلم هو العمل، فإن تحلى بالعلم والعمل أتت المرحلة الرابعة وهي نشر هذا العلم فيكون بهذا قوله أدعى للقبول.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مِن مَعين أئمة الدين

كيف يدخل في العمل

قال شَقِيق البلخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الدُّخُولُ فِي الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ وَالثَّبَاتِ فِيهِ بِالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ بِالْإِخْلَاصِ فَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ بِعِلْمٍ فَهُوَ جَاهِلٌ"

الحلية (8/69).

التعليق

يريد رحمه الله أنَّ الذي يدخل في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يجب عليه أن يعمل، وهذا العمل لا بُد أن يُبنى على علم؛ لأن العمل إن بُنِي على جهلٍ كان فساده أو ضرره أكثر من صلاحه، والثبات على هذا العمل ومعه العلم لا يكون إلا بالصبر؛ فطريق العلم وطريق العمل يحتاج إلى صبر، فمن لم يصبر لن يقطع الطريق، لذلك ستجد بعض طلبة العلم يتراجع أثناء السير على طريق العلم إما تراجعًا كليًا أو جزئيًا؛ لأن العلم ثقيل، وبعض العلوم قد تكون أثقل من بعض فتحتاج إلى صبر أكبر، ومَن يعرف المقصود يحقر ما بذل.

ولا بد من الاستسلام للعلم والعمل والانقياد له بالإخلاص، فإن لم يُخلَص فيه لله، لن يكون هذا العلم والعمل نافعًا.

قال: "فمن لم يدخل فيه" أي: العمل "بعلم، فهو جاهل"؛ فهذا الطريق لا بُد فيه من علم يُبصِّره وهمة ترفعه.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

أعظم نعمة بعد الإسلام

عَنْ أبي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: "مَا أَدْرِي أَيَّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَفْضَلُ، نِعْمَةُ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أو نِعْمَةُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْنِي حَرُورِيًّا "

الحلية (8/69).

التعليق

هذا الأثر عن إمام من أئمة التابعين يشير إلى نعمتين عظيمتين:

- **النعمة الأولى:** نعمة الإسلام.
- **النعمة الثانية:** نعمة لزوم السُّنة وعدم الوقوع في شيءٍ من الأهواء.

وقد صرَّح أبو العالية في بعض روايات الأثر: أنَّ هذه الأهواء كانت الخوارج، الحرورية، يعني أنه رحمه الله تعالى أدرك فتنة الحرورية، فمِن شدة هذه الفتنة وعظيم نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الذي أنجاه منها، قال: والله ما أدري أي النعمتين عليَّ أفضل: أن منَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عليَّ بالإسلام أو ما وقعت في هذه الأهواء والبدع (الخوارج).

مما يدلك على أنَّ النجاة من البدع نعمةٌ في الفضل تأتي بعد نعمة الإسلام؛ لأن الإنسان إذا كان مسلمًا، فقد نجا من الكفر إلى بالإسلام، هذه نعمة عظيمة وهذه هي الدرجة الأولى.

الدرجة الثانية: كونه في الإسلام ويسلم من هذه الأهواء والبدع، فهذه نعمة عظيمة.

- **وهذا يُجرُّنا لمسألةٍ مهمة، وهي:** أنَّ أئمة الدين خافوا على أنفسهم من هذه الأهواء، ولم يكونوا يتساهلون أو يتهاونون مع حملتها، وفي ذلك يحكي لنا ابن وهب ما كان من الإمام مالك من الحزم مع أهل الأهواء والبدع فيقول: "كَانَ مالك إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَاذْهَبْ إِلَى مَنْ هُوَ شَاكٌّ مِثْلُك فَخَاصِمْهُ".

، وكان يقول رحمه الله:" كَانَ يُقَالُ: لَا تُمَكِّنْ زَائِغَ الْقَلْبِ مِنْ أُذُنِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَعْلَقُكَ مِنْ ذَلِكَ"، فالزيغ ينبت في القلب إذا استمع إليه الإنسان كما تنبت البذور إذا غرست في الأرض، فأول ما تنبت ويخرج رأسها، كأصغر فسيلة لا تُرى، وإذا ظهرت صغيرة لا يُشعَر بها حتى تكبُر، وإذا كبُرت صعُب اقتلاعها، وإن اقتلعتها قد يكون أثرها لا يزال موجودًا في الأرض.

فالشُّبه صغيرة وخطَّافة، لا تصغِ لها بسمعٍ، ولا تنظرْ لها بعينٍ، ولا تقرُبْ منها أبدًا.

ولهذا رتب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تجنبها السعادة فقال: "إنَّ السَّعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن، إنَّ السَّعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن، إنَّ السَّعيد لَمَن جُنِّبَ الفِتَن"

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مِن معين أئمة الدين

وصية من زاهد إلى عالم

كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ إِلَى سُفْيَان الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ، وَمَنْ أَطْلَقَ بَصرَهُ طَالَ أَسَفُهُ، وَمَنْ أَطْلَقَ أَمَلَهُ سَاءَ عَمَلُهُ، وَمَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ قَتَلَ نَفْسَهُ" الزهد الكبير للبيهقي (برقم 468).

التعليق

"مَن عرف ما يطلب" مِن العلم النافع والعمل الصالح، هان عليه ما يبذله من مال ووقت وتعب فإنَّ جميع هذه مع ما يطلبه من العلم والعمل الصالح هي محتقرة بالنسبة إلى ذلك المطلوب العالي؛ ومَن يعرف المطلوب يحقر ما بذل. هذا الجانب الأول.

الجانب الثاني: "ومن أطلق بصره طال أسفه" يعني: مَن أطلق بصره في كل شيء، لا يرعى حرامًا أو حلالًا، يطول أسفه، وندمه، يندم على هذه النظرات التي أطلقها؛ إذ النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، ورُب سهمٍ وقع في مقتلٍ فأهلك صاحبه.

الفقرة الثالثة: قال: "ومن أطلق أمله" عنده أمل طويل أنه سيعيش و أنه سيُعمَّر ألف سنةٍ، و أنه لن يموت، طول الأمل هذا يُسبِّب الخلل في العمل، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ يبكي، ولَمَّا يُسأل عن كثرة بكائه، قال: (يُبكيني أمران: طول الأمل ومن الهوى).

الفقرة الرابعة، قال: "ومن أطلق لسانه" يعني: أطلق لسانه في كل شيء يتكلم؛ لا يراعي حلالًا ولا حرامًا مفسدة أو مصلحة: "قتل نفسه"؛ لأن لسان الإنسان سبع

لسان الفتى سبعٌ عليه مراقبٌ...فإنّ لم يزع من غربه فهو آكله (بهجة المجالس(1/11)).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

لين الكلمة وأثره

قال علي رضي الله عنه: "مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ، وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ"

الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (1/356)

التعليق

وهذا الأثر يأتي في باب حُسن الخُلق والأدب، وملاطفة الناس بالكلام، فالكلمة الطيبة سببٌ لمحبة الخلق لك، كما أن الكلمة الغليظة القاسية سببٌ لنُفرة الناس عنك، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

ولا يذهب مفهوم أثر "مَن لانت كلمته" إلى البعيد أو مع الغريب، إنما القريب أولى؛ فلِين الكلمة مع الأب أولى، مع الأم كذلك أولى وأولى، وكذلك مع الزوجة، والأبناء، والجيران، والخدم، وهكذا.

- وينبغي على طالب العلم أن يكون أكثر من غيره، ليّنًا في كلمته، لأنه محل نظر، كما ينبغي لطالب العلم أن يعمل بهذا الأثر في حياته العلمية مع زملائه من طلاب العلم.

أمَّا أن يكون الإنسان قاسي الكلمة، فهذا ليس من السُّنة، وليس من الأدب إلا فيما فيه حاجة.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران:159

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

من هو العاقل

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، إِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي إِذَا رَأَى الْخَيْرَ اتَّبَعَهُ وَإِذَا رَأَى الشَّرَّ اجْتَنَبَهُ"

موسوعة ابن أبي الدنيا(8/339)

التعليق

نستفيد من هذا الأثر عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أهمية العلم؛ إذ بالعلم يُدرَك الخير والشر.

الفائدة الثانية: أنَّ العلم: علم تقريرٍ وعلم تحذير، أو معرفة خير ومعرفة شر، وهذا أكمل العلم؛ أن يعرف الإنسان الخير ويعرف ضد الخير الذي هو الشر حتى يكون أثبت على الخير وأبعد عن الشر.

الفائدة الثالثة: أنَّ العلم دون عملٍ وبالٌ على صاحبه، ودليلٌ على قلة عقل صاحبه، لذلك قال: "ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر، ولكن العاقل مَن يعرف الخير فيتبعه -العمل-، ويعرف الشر فيجتنبه" العمل: عمل فعلٍ وعمل ترك، فهذه هي حقيقة العاقل.

والعلم بلا عمل وبال على صاحبه كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "ويلٌ للذي يعلم ولا يعمل، ويلٌ له، ويلٌ له.. سبع مرات".

ومن هنا تستطيع أن تكشف حقيقة العقلاء ودرجاتهم، فكم من الناس يدَّعي العقل ولا يأتي إلى صلاة؟ وكم من الناس يدَّعي العقل وهو أسيرٌ للمعاصي والذنوب ؟ وكم من الناس يدَّعي العقل وهو يصاحب أهل الشر؟ وكمن من الناس يدَّعي العقل وهو يعلم ويعرف مجالس الذِّكر ودرس العلم وحلقاتها ولا يحضر؟ وكم من الناس يدَّعي العقل ولا يفتح كتاب الله ويقرأه؟ وكم من الناس يدعي العقل ولا يبر والديه؟

وهكذا مقياس عقل الناس في ميزان العلم والعمل.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مِن مَعين أئمة الدين

علو الهمة في الطلب

قال أبو العباس ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ : "ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس نحو أو لغة خمسين سنة"

المنتظم لابن الجوزي (12/381)

التعليق

"**إبراهيم الحربي**" كان إمامًا في العلم، رأسًا في الزهد، عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، حافظًا للحديث، مميِّزًا لعلله، قيِّمًا في الأدب، جمَّاعًا للغة.

- هذا الأثر فيه أمر مهم، ألا وهو علو همة طالب العلم؛ فلعلو همته ما فقد في هذا الفن الذي يعدُّ من أثقل العلوم على طلاب العلم اليوم، خمسين سنة، فلا بُد لطالب العلم مِن هِمةٍ تُرقّيه، وعلمٍ يهديه، وإلا انقطع في أوائل الطريق

- يعلمنا هذا الأثر قدر هؤلاء الأئمة وما بذلوه في تحصيل العلم، وفي المقابل يُعرِّفنا حقيقة أنفسنا التي نحن مُعجَبون بها، وهي والله في دنوٍّ وتقصير؛ نفرح لحضور مجلسٍ ومجلسين أو ثلاثة أو سنة أو سنتين مع قلة همةٍ في تحضيرٍ وفهمٍ ومراجعة، وعدم بكورٍ إلى الدروس وسرعة خروجٍ منها، ولهوٍ في هاتفٍ وتشويش ذهنٍ، وغير ذلك، لكننا نعجب بأنفسنا أننا نحضر ونحفظ ونتعلّم، وهو خمسون سنة ما انقطع عن درس.

- علو الهمة يوصل إلى الهدف ولا يجعل طالب العلم ينشغل بما يعيقه عن الوصول إلى هدفه، فتأملوا خمسين سنة أَمَا كان يأتيه شغل؟! أَمَا كان يمرض؟! أما كانت أمه تندبه؟! أَمَا كان يحتاج أشياء يشتريها؟! لماذا لم يتأخر عن درس؟! لماذا لم ينقطع عن الدرس؟

الجواب : "**مَن يعرف المقصود يحقر ما بذل**"، فهؤلاء في الحقيقة عرفوا قدر هذا العلم، فاجتهدوا في تحصيله، ونحن لم نعرف قدره، فشغلتنا الدنيا عنه.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِنْ مَعِينِ أئِمَّةِ الدِّين

العلم موقف على أمرين

يقول الرُّوذْبَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ : «الْعِلْمُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ يُوَرِّثُ الْفَهْمَ عَنِ اللَّهِ عزوجل»

اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص32).

التعليق

العلم عرفتم فضله ورفعته للعبد لمن سلك طريقه، لكن هذا العلم بهذا الأجر وهذه الفضيلة موقوف عن العمل، أي محبوسٌ على العمل، فمن لم يعمل بالعلم حبست عنه فضائله على قدر قلة عمله؛ فمن كان تاركًا العمل بالعلم الواجب فهو آثمٌ محرومٌ من فضائل هذا العلم، ومن كان تاركًا العمل بالعلم المستحب فهو ليس بآثم لكن فاته شيءٌ أو أشياء كثيرة على حسب تركه.

والعلم الذي يطرح على مسامعك إما تذكير بخير تعرفه أو تعليم لما تجهله كما قال ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (ق:8) وإما تذكير بعلمٍ قد نسيته، أو نسيت العمل به، وإما تعليم لأمر تجهله فتتعلم علمًا جديدًا فتعمل به، وهذا في كل علم من الأمور الواجبة يجب علينا مع هذا العلم أن نحيي العمل به، أو نجدد النشاط بالعمل به ولا تقل مسألة قديمة أعرفها أين الجديد!!

قال: «وَالْعَمَلُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْإِخْلَاصِ»، هذا العمل الذي سيكون ثمرة العلم، محبوسٌ على الإخلاص، يعني إن كنت مخلصًا فيه لله فلك الأجور العظيمة، والفضائل العميمة، ولك النجاة من الإثم، فالعلم والعمل صحته موقوفة على الإخلاص، مما يدلك على أهمية الإخلاص وخطر الرياء لهذا يسحب على وجوههم ثلاثة هم أول من تسعر بهم النار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:«وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قال تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ»، فلفقد الإخلاص واستغلال هذا العلم الجليل في أمر حقير، كان الجزاء من جنس العمل فعوقب بهذا العقاب الشديد.

وقوله: «وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ يُوَرِّثُ الْفَهْمَ عَنِ اللَّهِ عز وجل»، هذه ثمرة عظيمة على الإخلاص وهي فهم يورثه الله العبد، وإن كان العلم قليلًا مع إخلاص، فإن أخلص الإنسان في العلم القليل الذي يأخذه فإن الله سبحانه يورثه الفهم، يورثه الفقه و«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (رواه البخاري (71)، ومسلم (1037)).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

زمان موت القلوب

يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأتي على الناس زمان تموت فيه القلوب، وتحي الأبدان» حلية الأولياء (7/82).

التعليق

هذا الأثر من هذا الإمام فيه حال بيان آخر الزمان عند بني الإنسان، بحيث يكونون موتى القلوب، وأحياء الأبدان، ومعنى الأثر أن جوارحهم تتصنع العبادة، وقلوبهم ليست بخاشعة، وإنما اقتصر أصحاب آخر الزمان بعمل الأبدان، وتركوا الروح والقلوب التي هي أصل الجوارح والأجساد.

وفيه تنبيه على خطر الرياء وهو أن بعض الناس يعمل ببدنه، يحيي بدنه من أجل نظر الناظرين، وأما قلبه الذي يراه رب العالمين فخراب، لذلك تهزه الفتنة، وتؤثر فيه الدنيا، وتجرفه الشهوة، وكما جاء عن بعض أئمة الدين: «لو أنّ اليقين استقرّ في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقا إلى الجنّة، أو خوفًا من النّار» (الحلية (7/ 17))، لكن اليقين ما استقر في القلب، وإنما هو أداء بجوارح فقط؛ لذلك لا يجد من هذا حاله لذة في العبادة، بل يجد مرضًا في القلب وانتكاسة، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ» (الزهد لاحمد (762))، الجوارح خاشعة، ولكن القلب خراب، وهذه آفة قديمة لكنها في هذا العصر فشت وزادت، يتعلم العلم ليصلح به الجوارح؛ لأن العامل يريد نظر الناس، والناس لا ينظرون إلا إلى الظاهر، ولو أصلح الباطن والقلب لحيت الجوارح حياة حقيقية.

هذه التي ذكرها سفيان تحي فيه الأبدان، هي حياة صورية شكلية فقط، أما وقر الإيمان في القلوب وحقيقته وطمأنينته والعقيدة في القلب، فإن التعلق فيها ضعيف، كانوا يقولون عن الإمام مالك رحمه الله : "ما سبقنا الإمام مالك أو ما ارتفع الإمام مالك لكثرة علم أو عبادة، وإنما لسريرة في قلبه" (حلية الأولياء (6/330)).

ولما كان هذا حال البعض وُضعوا في الأرض ولم يكن لهم قدر بسبب الخراب الذي في القلوب، أما الأوائل فرفعتهم السرائر الحسنة، وبعض المتأخرين خفضتهم الدسائس السيئة، فعلى الإنسان أن يصلح قلبه حقيقة، ويعتني بعمل قلبه حتى تصلح جوارحه، حتى ولو كان عمل جوارحه قليلا مع اليقين أنفع، يقين مع عمل قليل أنفع من عبادة المرائين والمتنسكين أو غير ذلك ممن يتظاهر بهذه العبادة كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه:«يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم؟ ومثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين» (حلية الأولياء (1/211)) .

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

منزلة بر الوالدين عند طالب العلم

يقول بندار رَحِمَهُ اللَّهُ: «أردت الخروج -يعني: الرحلة في طلب العلم - فمنعتني أمي، فأطعتها، فبورك لي فيه» سير أعلام النبلاء (12/145).

التعليق

الفائدة الأولى: حرص السلف على الرحلة في طلب العلم وكما قيل: من لم يرحل لم يرحل إليه، والذي يرحل في طلب العلم يشبّه بالماء الجاري، والذي لا يرحل ويطلب العلم ويكتفي بمن عنده يشبه بالماء الراكد، والجاري متجدّد وأنقى، والراكد قد يتكدر ولا يزداد ، ثم من فائدة الرحلة في طلب العلم توسع المدارك، وحيازة الفنون التي لم تكن موجودة في مكانك، ثم من فوائد الرحلة عدم التعصب لأشخاص محددين في مكان تواجدك.

الفائدة الثانية: «أردت الخروج -يعني: الرحلة في طلب العلم - فمنعتني أمي، فأطعتها»، هذا يدل على أن العلم الذي كان راحلاً إليه علم مستحب؛ لأن العلم الواجب يجب الرحلة إليه، وإن لم يوافق الوالدان على هذه الرحلة العلم الواجب، أما المستحب فإنه تقدم طاعة الوالدين على هذا العلم المستحب.

الفائدة الثالثة: بر الوالدين، بر الأم، وهذا جانب يغفل عنه بعض طلبة العلم، يظن بعضهم أو يأخذ بعضهم العلم كأنه مانع من أداء واجبات الوالدين، وفي الحقيقة العلم يعينك على أداء الحقوق، إن عملت به، يعينك على أداء الحقوق بأفضل أداء وأحسنه، ففيه حرص السلف على بر الوالدين، وأن الأم تطاع في الأمور التي ليست فيها معصية، فإن منعت الأم أو منع الأب من رحلة فلان إلى طلب العلم وهي رحلة مستحبة فيمتنع، وإن منعت الأم أو الأب الابنة من صحبة فلان وفلان، وإن كان صالحًا يمتنع، وهكذا إلا ما يتوقف عليه واجبٌ، أو يترتب عليه وقوع في محرم، فهنا لا طاعة فيه، لكن مع الطاعة ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]، تصاحبهم بالمعروف، وليس معنى عدم الطاعة في المعصية أنك تسيء معاملتها، أو تسيء معاملة الأب، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[الإسراء: 23].

الفائدة الرابعة: فقه السلف في تقديم الأهم وتقديم الواجبات على المستحبات.

الفائدة الخامسة: أن من عمل بالعلم بورك له فيه، وهذا يغيب عن أذهاننا، نظن أن تحصيل العلم فقط بماذا؟ بالمجالسة والحفظ والمراجعة مع إخفاقنا في مسألة العمل، ومع تقصيرنا في مسألة بر الوالدين التي هي جزء من هذا العمل، لذلك بعض الأحيان تجد العلم عندنا غير مبارك، والبركة معناه ماذا؟ الثبات والكثرة، أي: ثبات هذا العلم وكثرته بماذا؟ بسبب الخلل في عملنا وبسبب الخلل في معاملتنا، رجل لا يبر والديه، أو يقصر في الأعمال الواجبة عليه، كيف يرجو البركة في هذا العلم؟ وإنما بركة العلم العمل به، لذلك كان يقول بعض أئمة الدين (الذهبي في سير أعلام النبلاء (18/192)) :«من طلب العلم للعمل كسره العلم»، يعني ذل وانكسر، فبالعلم والعمل يعطي الإنسان الحق ويبارك له في العلم.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

العلم أودية

عن يونس بن زيد رَحِمَهُ اللهُ :قال لي ابن شهاب: **لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام»** سير أعلام النبلاء (12/145).

التعليق

هذا الأثر فيه جملةٌ من الآداب التي يحتاجها المتعلم:

أول أدب من الآداب: أن يعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وأودية كبيرة وعميقة، فلا يكابر العلم يعني لا يحاول أن يأخذه أو يجاهده ليأخذه مرة واحدة، فيرمي نفسه في هذا البحر فيغرق، لهذا قال: "فأيها أخذت فيه قطع بك أودية، فعلم النحو واد من الأودية، لو أخذت هذا العلم وكابرت فيه شغلك ولم تنتهِ منه، وإن أتيت إلى علم التفسير فهو واد ما ينقطع ، وكذلك علم السنة والحديث والمصطلح والعقيدة كل واحد منها واد، فإذا كان العلم بهذه الأودية فما هو الحل؟ الحل أن يأخذه طالب العلم على مرّ الأيام والليالي لأنه لا يستطيع الإنسان أن يأتي بالعلم مرة واحدة، الأمر الثاني: أن يأخذه بتدرج لا جملة، فمثلا الآجرومية في عشر صفحات، وألفية ابن مالك في ألف بيت مع شرح ابن عقيل في مجلدين، كل مجلد أربعمئة صفحة أو ثلاثمئة صفحة، فيقول قائل: أنا لماذا أدرس هذا المتن الصغير وأضيع وقتي في شهر وشهرين؟ أنا سأقرأ مرة واحدة الكتاب الكبير، فنقول له: "من رام العلم جملة ذهب عنه جملة"، وأصل التعلم أن يؤخذ بتدرج من صغيره إلى كبيره، فمن أخذ بكبار المسائل قبل صغارها إما أن ينقطع عن العلم، وإما أن يزل في الفهم، لأنه كما قال أهل العلم: "ازدحام العلوم على الآذان مظنة عدم الفهم"، وهذا التدرج لابد أن يقدم فيه الأهم فأولا العلوم الواجبة عليه التي يأثم بتركها، كالعقيدة والصلاة والطهارة والوضوء والزكاة إن كان عليه زكاة، وغير ذلك.

قَدِّمْ وُجوبًا عُلومَ الدِّينِ إنَّ بِها **** يَبِينُ نَهجُ الهُدَى مِن مُوجِبِ النِّقَمِ

الأدب الثاني: أن العلم يحتاج إلى صبر، لا يأتي العلم بسنة ولا سنتين ولا بثلاث ولا أربع، قالوا لابن المبارك: "إلى متى وأنت تتعلم؟ قال: إلى الموت"، وسئل الإمام أحمد وجدوه عند محبرته، فقالوا له ما هذا يا إمام؟ قال: «مع المحبرة إلى المقبرة» (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص37).)، فالعلم لا ينقطع عنه ولا يستغنى عن أهله، كما قال أهل العلم: من ظن أنه قد استغنى عن التعليم والعلماء فهو جاهل، هذه هي ساعة الجهل أن تظن أنك أخذت الدكتوراه فلا تحتاج للعلم، لذلك أئمة الدين ومنهم الإمام أحمد، كانوا يتعلمون حتى بعد تأخر حياتهم، يذكر عن الإمام أحمد أنه لما أتى الشافعي وكان يوجد من الأئمة من هو أكبر منه، فكان الإمام أحمد يذهب إلى الشافعي ويدرس عنده، فقالوا له: تترك الأكابر، سفيان الثوري، وفلان وفلان وتذهب عند الشافعي؟ قال: والله إنه صاحب عقل، لو جمعت عقول كثير من الناس مع عقله لذابت في بحر عقله، فإن استقل الإنسان وظن أنه لا يريد أن يتعلم فهذه ساعة الجهل، وبداية الانقطاع عن العلم، والله عز وجل ما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالتزود من شيء في الدعاء، إلا من العلم في دعائه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

ضياع الوقت

قال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أحدهم، لو سقط منه درهم لظلّ يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، ولا يقول: ذهب يومي، ما عملت فيه» حلية الأولياء (8/303).

التعليق

في هذا الأثر الحثُّ على المحافظة على الوقت، وأن العمر هو هذه الأوقات التي تقضيها، والساعات التي تمضي، والثواني التي تسري، وفيه عدم حرص كثيرٍ من الناس على استغلال وقتهم، وعدم الاكتراث بما يضيع أو يستنزفونه من أعمارهم، فهؤلاء في الحقيقة ما عرفوا قيمة الوقت، فلم يشعروا بأهمية أعمارهم، فجعل عمره ووقته أرخص من الدرهم، فيضيع الدرهم أو يضيع القلم، أو تتعطل السيارة، أو يتسخ الثوب، وهو يضيع يومه كاملاً في ثوب أو سيارة أو غير ذلك، غير مكترثٍ بهذا الوقت الذي يذهب عليه؛ وسبب ذلك دخول الدنيا في القلب ممّا يجعله يقدم أتفه الأشياء فيها على أهم الأشياء عنده، لذلك جاء عن بعض الأئمة قال: "إذا ضاعت دجاجةُ أحدهم وجد عليها ،يعني حزن عليها، وهو يضيع عمره ولا يحزن على ذلك.

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ *** وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْك يَضِيعُ

نحن في هذه الدنيا في آجال منقوصة، وأعمال محسوبة، يقول الحسن البصري: «يا ابن ادم أنت بين مطيتين: مطية الليل ومطية النهار، كلها تأخذك إلى أجلك" (الزهد الكبير للبيهقي (512)) ، فمطية الليل تحملك إلى مطية النهار، ومطية النهار تحملك إلى مطية الليل، ومطية الليل تحملك إلى مطية النهار حتى يأتي أجلك، فلا بد من استغلال هذا الوقت، لا نقول أو لا يقال أنك لا تقبل فيه الأشياء المهمة لكن من الخلل والغلط أن تكون الأشياء دائما التافهة هي مهمة عندك، إن الشافعي رحمه الله يقول: «لو كُلِّفتُ شراء بصلة لما فهمت مسألة» (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص36)) .

المقصود أنه قد تكون للإنسان حاجة في أمر ما كإصلاح سيارته، لكن لا يقدر وقتًا يقضي فيه حاجته فيظل يضيع يومًا بعد يوم في أمر قد ينقضي في ساعة هو مع هذا يستطيع أن يستغل وقته عند قضاء هذه الحاجة فيما ينفعه من ذكر وتواصل مع أرحام، وقراءة كتاب لكنه يكون مشغول القلب والجوارح مضيع لا أقول للساعات بل للأيام.

بعض الناس حفظ القرآن أو المتون العلمية وهو يمشي أو ينتظر موعدًا والبعض لا يستطيع أن يحفظ صفحة مع وجود فراغ عنده، وما ذلك إلا لثقل في القلب، وتراكم الدنيا عليه، وضعف الهمة أما أئمة الدين فعرفوا قيمة العلم فشمروا له فعن أبي طاهر السلفي قال: والله ما ضيعت عمري، ما ضيعت ساعة من عمري في لهوٍ ولا لعبٍ، عمره كله ما ضيع منه ساعة واحدة لهوٍ ولا لعبٍ، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ وكان يسكن مصر، قال: وكان بجنبي منارة أو برج منارة من عجائب الاسكندرية، ولو فتحت الطاقة وفتحت النافذة لرأيتها، وسكن عشر سنوات وما رآها، ما عنده وقت ليرى مناظر، أو يتجول في هذه الأمور، عرفوا أين يضعون أوقاتهم، ونحن عرفنا كيف نُضيّع أوقاتنا، نحن نتفنن في تضييع الوقت.

فعلينا أن ننظم الوقت حتى لا ينفرط علينا الأمر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

أجموا القلوب حتى لا تمل

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : «إنّي لأستجمُ قلبي بشيءٍ من اللّهو، ليكون أقوى لي على الحقّ»

بهجة المجالس لابن عبد البر (1/115).

التعليق

في هذا الأثر من الآداب، ما يلي: أولاً: اعتناء الصحابة رضي الله عنهم بالقلوب، ومعرفة أحوالها؛ لأن القلب لا يكون دائمًا على حالة واحدة، بين إقبال على الحق، وإقبال على الطاعات بقوة، وبين شيء من فتور، فعند الإقبال يدفع، وعند الإدبار يُروَّح عنه ويستجم له، لذلك جاء عن علي رضي الله عنه قال: «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملُ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة» (العقل وفضله لابن أبي الدنيا (94)).

الفائدة الثانية: الاستجمام بالمباح للتقوي على الحق، وهذا يحتاجه طالب العلم، وأعني بطالب العلم طالب العلم الذي يسمى طالب علم، الذي بذل وقته وجهده وأنفاسه في طلب العلم، فإنه في بعض الأحيان يحتاج إلى إجمام النفس والترويح عنها ليكون هذا الإجمام والترويح دافعًا بعد ذلك للحق وللعلم وللدعوة، إن من الناس من يسير إلى الله والدار الآخرة ولكنه يتوقف أثناء الطريق وقفة كاستراحة المحارب يتوقف هذه الوقفة ليعدو بعدها عدوة قوية.

الفائدة الثالثة: أن من طبيعة القلوب أنه تملُ، وليس معنى ذلك أن هذا أمر مذمومٌ، فإذا ملَّ القلب فعالجه بالاستجمام والراحة بالمباح، ولا تأخذه عند ملله بالقوة فقد ينفر نفرةً شديدة، إذا ملَّ إنسان مجتهد في صلاته قيامه صيامه، طلبه للعلم، قراءته للكتب، عيادته للمرضى، اتباع الجنازة، مجتهد في الطاعة، فيأتيه في قلبه شيء ملالة، فإذا أتت هذه الملالة فلا تأخذ القلب بالعزيمة القوية، فقد ينفر في بعض الأحيان، وأنت أعرف بقلبك، ولكن خذه باستجمام قال ابن مسعود رضي الله عنه : «أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عمى»(العقل وفضله لابن أبي الدنيا (96)) .

الفائدة الرابعة: أن إجمَام القلب يكون بضوابط:

الضابط الأول: أن يكون الاستجمام بأمر مباح، فمن استجمّ بأمر محرم فقد أصاب قلبه في مقتل.

الضابط الثاني: أن يكون استجمامًا وترويحًا في فترات، وليس عادةً يكثر منها.

الضابط الثالث: أن ينوي به التقوّي على الحق، فيكون في قوته يؤجر، وفي استجمامه كذلك يؤجر.

الضابط الرابع: أن من أنواع الاستجمام التي وردت عن النبي ﷺ أو عن الصحابة منها: الرمي سواء بنبل أو رمح أو بسلاح زمنها: ركوب الخيل، والإبل المسابقة عليها، كان النبي ﷺ والصحابة ا يتسابقون على ظهور الخيل، وكانوا يتسابقون على ظهور الإبل، ومنها: مجالسة الأخيار ولو كانت في مجالسة حديث وطرافة ومزاح وشعر وحكمة، ليست كمجالس أهل الدنيا غيبة ونميمة وكذب وفجور وغير ذلك، إنما مجالس الأخيار التي إن جلست فيها روحت عن قلبك ولم تضره.

الفائدة الخامسة: في هذا الأثر الحذر من انحراف القلب بعد ملالته، في بعض الأحيان يصيب القلب ملالة، من الذي يستغل هذه الملالة استغلالاً صحيحًا الشيطان، يأتي الشيطان ليوصل العبد الذي أصابته الملالة في قلبه إلى انحراف قلبي، فيدخل عليه من أبواب الأول: أن هذه الملالة بسبب الدين، أو بسبب العلم، وبسبب القرآن، وبسبب الصحبة الصالحة، يقتنع صاحب الملالة بهذه الفكرة يذهب ليجمَّ نفسه، مثلاً عند أمر مباح الآن فقيه مع الخيول أو مع الإبل فيصبح يجمُ نفسه عصرًا ومغربًا وعشاءً كل يوم، فبعد هذا المباح يصعب عليه الرجوع إلى أهل الحق، أو إلى طلب العلم؛ لأنه بعد الملالة عود قلبه الدعة والكسل، لهذا قد يصل بالبعض أن ينتكسُ بعد هذه الملالة، وبعض الشباب إذا أصابته الملالة والضغط توجه إلى الشعر، ثم توجه إلى الأفلام ثم بعد ذلك إلى الغناء، ثم بعد ذلك إلى رفقة سيئة ثم بعد ذلك لا تراه هو الذي كان من قبل، فالحذر الحذر من خطوات الشيطان في هذه اللحظة التي يستغلها الشيطان ويضعف فيها العبد ولتعرف أين تضع قلبك.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

تعلم الهدي والآداب

قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ : «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم» تذكرة السامع والمتكلم (ص38).

التعليق

ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ يقول: «كانوا»، يعني من؟ الأئمة فوقه من التابعين والصحابة، «يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»، «يتعلمون الهدي»، يعني الآداب والسمت والأخلاق الحميدة والوقار والمروءة والكرم وغير ذلك، كما يتعلمون العلم، وهذا فيه فضلُ هذه الآداب، وحرص العلماء على تحصيلها، حتى أن بعض أهل العلم كمخلد ابن الحسين قال: «نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوج منا إلى كثيرٍ من الحديث»(تذكرة السامع والمتكلم (ص3)) ، فقليلٌ من العلم مع كثيرٍ من الأدب يسمو العبد، وفي الأثر من الفوائد:

الفائدة الأولى: جمع أئمة الدين بين باب العلم وباب الأدب، فالفصل بينهما من قلة التوفيق، وقلة الأدب، فبعضهم يظن أن العلم شيء والأدب شيء ثانٍ، فهو متعلم وعنده علم لكن غير مؤدّب، والثاني يظن أنه مؤدب ولا يحتاج إلى العلم، وكلا الطريقين مذموم.

الفائدة الثانية: أن طلب العلم بلا طلب للهدي والسمت والأخلاق والأدب علامة شقاوة، وقلة عملٍ بالعلم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : «وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره» (مدارج السالكين (368/2)).

الفائدة الثالثة: أن الأدب مع العلم زينة وجمال ونشر للعلم بالأفعال؛ لأن غير المؤدب الذي ما تحلى بهذه الأخلاق أساء إلى العلم بنظر الناس إليه، لمَّا نظر الناس إلى أفعاله وجدوها أفعالًا ليست فيها شيء من الأدب، فتراه في الأقوال يكذب، وينم مثلًا، مع حرصه على طلب العلم لكن أفعاله لا تعكس العلم، فهذا يشوِّه صورة العلم، ويصد الناس عنه، حتى إن سفيان قال: قيل للقمان أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قال: قَالَ: «الَّذِي لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا» (الزهد للإمام أحمد (275))، ما عنده اهتمام أن يراه الناس على خير أو على شر.

الفائدة الرابعة: أن الأدب الحقيقي هو أدب القرآن والسنة، وقد ذكر ابن عبد البر أن من لم يصلح ولم يصطلح على أدب الله فلن يصطلح على غير ذلك (بهجة المجالس (110/1)) ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كما قال سفيان هو الميزان الأكبر في الأخلاق والأعمال والآداب، فالأدب الحقيقي إنما هو أن يلتزم الإنسان آداب القرآن وآداب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه أئمة الهدى.

الفائدة الخامسة: أن هذا الأدب الذي لا بد أن يتأدب به الإنسان لا بد فيه من مجاهدة نفسه ورفقة تعين على حسن الخلق وتصوب الخطأ، ومعلم يوجه إلى الخير ويؤدب، وقبل دعاء الله أن يوفقه لحسن الأدب.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

وصية للغرباء

قال سفيان رحمه الله : «استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء» سير أعلام النبلاء (7/273).

التعليق

من فوائد الأثر:

الفائدة الأولى: هذا الأثر مما يتسلّى به أهل السنة عند غربتهم، وأهل السنة هم من تمسك بالسنّة باطنًا وظاهرًا، عقيدةً وقولاً وعملاً وعلمًا ودعوةً ومنهجًا وأخلاقًا، يتمسكون بالسنة في كل المقامات، والأحوال وجميع المتعلقات، هؤلاء هم أهل السنة.

الفائدة الثانية: فضل أهل السنة والجماعة، مما يؤكد على العبد سلوك طريقهم والسير على مناهجهم، قال الإمام أحمد رحمه الله : «من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله» (السير (11/296)) .

الفائدة الثالثة: وصية الإمام لأهل السنة بأن يتواصوا فيما بينهم خيرًا، فيتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، أن يكونوا لحمة واحدة، أن يكونوا على يد واحدة، يوصي بعضهم بعضًا الخير، ويصبر بعض على بعض ما لم يخالفوا هذه السنة، فيكون بينهم الرفق واللين والحكمة والصبر والمحبة والألفة والاجتماع حتى لو وُجد شيءٌ من الخطأ والزلل الذي لا يترتب عليه الخروج من هذه السنة يبقى الود ويبقى النصح والصبر عليهم، لا يزيد الإنسان على نفسه الوحشة والغربة فهم قليل، فإن فارقتهم أصبحت وحيدًا، فاصبر عليهم مع ما عندهم من نقص قد تجد عندهم نقص في العبادات، قد تجد عندهم شيئًا من النقص في الأخلاق في الأسلوب، فاصبر عليه كما قال مسدد: «أحبوا أهل السنة على ما كان منهم» (طبقات الحنابلة لأبي يعلى (1/345))، يعني إذا كان عندهم شيء من النقص والزلل؛ لأنهم خير الموجود وأفضل موجود ولا ترجو الكمال عند أحد، الكمال لا يتوفر عند أحد، فإن رجاء الكمال ليس في هذه الدنيا، بل الكمال الإنساني في الجنة هناك يكون الإنسان بدون هذه الزلات.

الفائدة الرابعة: في هذا الأثر غربة أهل السنة والجماعة وقلتهم، وهذا كما قال النبي ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ يَوْمَئِذٍ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»(رواه أحمد (6650).) ، وفي رواية قال ﷺ: «الَّذِينَ يَصلحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(مسند أحمد (16690)) ، تأمل هذا الحديث، في بدايته خبر محزن، فيبدأ الإسلام غريبًا وينتهي غريبًا، وفيه بشارة: طوبى للغرباء، أي: الجنة للغرباء، وكذلك طوبى لهم وحسن مئاب، سعادة لهم في قلوبهم، جنة في قلوبهم، ففي البداية خبر، ووسطه بشارة، وآخره بيان حال هؤلاء الغرباء أنهم أناسٌ قليل، هم قليل بين أناس كثير، يعني لا يغرُّك كثرة الهالكين، ولا تستوحش من قلة السالكين، هم أناس قليل بين أناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، مع هذا اصبر على هذه القلة ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: 103]، ذلك من جميل كلام بعض أهل العلم، قال: إن استوحشت الطريق فتذكر قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69]، فهذه الرفقة الحقيقي، والله ليست رفقة أهل الدنيا بجمعهم إن كانوا أهل دنيا، وأهل سوء، وأهل منكرات فإنما ها هنا الرفقة، فمن كان يصاحب في هذه الدنيا أهل السنة وأهل الخير فإنه بإذن الله سيكون معه في خيرة رفقة في الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فاحرص على هذه الرفقة هنا في الدنيا واصبر عليه، أناس قليل مع أناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، فلا تغتر بعصيان الناس لهم، ولكن انظر إلى الحق، ولا تنظر إلى كثرة الخلق، وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وهذه نعمة عظيمة أن الناس بكثرتهم يفسدون وهم يصلحون، مئات الناس تهدم واثنين وثلاثة من أهل السنة يبنون، مما يدلك أيضًا على أن الناس الذين يهدمون سيحاربونهم؛ لأنهم لا يريدون البناء، يريدون الإفساد، يريدون التدمير، يريدون التخريب، وأهل السنة يصلحون، ومما يدلك أيضًا على أن صورتهم ستشوه، فلابد في هذا الطريق من علم وصبر ورفيق، وإلا الإنسان سرعان ما يتزحزح ويتساقط ويضعف وينسى.

وصلى الله على نبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

دعاء العلماء للأمراء

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لو أنّ لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد» حلية الأولياء (8/91).

التعليق

هذا الأثرُ فيه فوائد وآداب:

الفائدة الأولى: عمق فهم الأئمة ، وحرصهم على تحقيق المصلحة العامة، وتقديمها على المصلحة الخاصة، فيقول: «لو أن لي»، يعني: لو علم أن له دعوة مستجابة يستجيب الله لها يقينًا وقطعًا لن يدعوَ لنفسه، فيدعو للحاكم، ولولي الأمر بالصلاح والتوفيق والسداد، فاستغرب من معه – وهو عبد الله بن مبارك- كيف ذلك يا أبا علي؟ قال له: "لأني إذا دعوت لنفسي ما تعدتني أنا، لكن إذا دعوت للحاكم فصلاح الحاكم صلاح البلاد والعباد"، لذلك قدر له عبد الله بن المبارك هذا، فقبله على رأسه وقال له: «يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك».

الفائدة الثانية: في هذا الأثر أن الدعاء للأئمّة والحكام بالتوفيق والصلاح والسداد والبطانة الصالحة وغير ذلك، منهجٌ من منهج أهل السنة والجماعة، ولذلك ذكره الأئمة في كتب العقائد كالصابوني، والآجري، واللالكائي، ونصوا على أنه من عقائد أهل السنة والجماعة.

الفائدة الثالثة: أن من علامات أهل الأهواء والفتن؛ الدعاء على حكام المسلمين، فإنه يدعو عليه لا له، قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله»(شرح السنة (ص112)) .

الفائدة الرابعة: أن صلاح الإمام والحاكم يترتب عليه صلاح العباد والبلاد، فالمصلح الحقيقي من يؤلف الناس على ولي الأمر، ويدعو لولي الأمر بالصلاح والتوفيق، فهذا المصلح الحقيقي، يتتبع الآثار والسنن، ويدعو لوليّ الأمر بالخير والتوبة، وهذا حق، كما قال الإمام أ حمد: «وَإِنِّي لَأَدْعُو لَهُ بِالتَّسْدِيدِ، وَالتَّوْفِيقِ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالتَّأْيِيدِ، وَأَرَى لَهُ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيَّ»(السنة لأبي بكر الخلال (1/83).) ، وهذا حق، لابد أن الرعية تلجأ إلى الله تعالى بالدعاء في صلاح الحاكم.

من معين أئمة الدين

القرآن يرقق القلوب

قال وهيب بن الورد رحمه الله : «نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابا للحق من قراءة القرآن لمن تدبره» حلية الأولياء (8/142).

التعليق

من فوائد هذا الأثر:

الفائدة الأولى: هذا الأثر فيه اعتناء أئمة الدين في القرآن، وأنهم مع نظرهم للحديث، وطلبهم للعلم ما كانوا يتركون القرآن قراءةً وعلمًا وعملاً وتعبدًا، فطالب العلم لا بد أن يكون على هذا، لأن القلب متى خلا عن القرآن يخرب ويتلف ويصدأ ويغفل، ولا يخفاكم حث النبي ﷺ على قراءة كتاب الله وحفظه وتدبره، والنبي ﷺ يقول: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ» (رواه الترمذي (2904))، و يقول ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(رواه الترمذي (2914)) ، ففضله عظيمٌ، وهو الذي من تمسك به لن يضل أبدا مع سنة النبي ﷺ.

الفائدة الثانية: أن القرآن كلام الله سبحانه علاجٌ أساسي للقلب، فهو يعالج القلب من أضغانه وأمراضه، ويصلحه صلاحًا لا يصلح بغيره، وهو أنفع دواء لهذا القلب، يجلي الله سبحانه به الهموم والأحزان والغموم، وبه يطمئن القلب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، لذلك لا بد أن يكون هذا القرآن كلام الله سبحانه كما قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: «لَستَ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ» (أبو عبيد فضائل القرآن (ص77)) ؛ لأن هذا الباب الذي سيدلك على كل عبادة وسيخشّع قلبك، ويصلحه، ويستجلب له الحق، فيُأنس طالب العلم، لا بد أن طالب العلم يجعل له أنسًا في كتاب الله، ولو رأينا الأئمة كيف كانوا يقرؤون، من يختم القرآن في سبع ليالي، بعض الأئمة لما أتاه الموت بكت عليه ابنته، فقال لها: "لا تبكين، والله إني ختمت هذا القرآن في هذه الزاوية أكثر من أربعين ألف مرة"، وبعضهم إذا دخل رمضان كان يقرأه في كل ليلة، أو يقرأه في ليلتين، ويقرأه في ثلاث وهكذا، كانوا يعتنون به اعتناء كبيرًا، قيل لرجل من منطقة اسمها بطرسوس، رأوه جالسًا وحده فقالوا له ما هنا أحد تستأنس؟ قال نعم، السائل مستغرب ما في أحد، قال نعم، قيل فمن؟ فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره، وقال: هذا هذا أنسي، لذلك الفضيل بن عياض له كلمة جميلة يقولرحمه الله : « مَنْ لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِالْقُرْآنِ، فَلَا آنَسَ اللَّهُ وَحْشَتَهُ» (العزلة لابن أبي الدنيا (ص33)) ، بعض الناس مع القرآن في ثقل ونفور ومع مواقع التواصل الاجتماعي لا يمل ومع القرآن يثقل قال تعالى:﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30] ، لذلك على طالب العلم أن يكون كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ»(مختصر قيام الليل للمروزي (ص51))، بهذا يعرف صاحب القرآن ومن لا يصحبه وانشغل عنه فقسى قلبه يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إنما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره»(حلية (1/131)) ، وتأمل لفظ أشغلوها بالقرآن، لا باللسان فالقلب إذا كان رقيقًا ودخل فيه القرآن دخل الحق فيه، لكن بشرط مهم وهو تدبره، وتلاوته حق تلاوته ومعنى التدبر والتلاوة، حق التلاوة: أن تقام حروفه وتقام حدوده، فمن أقام الحرف وترك الحد كان القرآن عليه حجة كما قال رسول الله ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» (مسلم (223)) نسأل الله تعالى أن يكون هذا القرآن حجة لنا لا علينا وأسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يقيم حروفه ويقيم حدوده.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

أبو هريرة يبكي!

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له. مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: «مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيَّ بَعْدَ سَفَرِي، وَقِلَّةِ زَادِي، فَإِنِّي أَمْسَيْتُ فِي صَعُودٍ مُهْبِطَةٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَلَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا يُؤْخَذُ بِي» حلية الأولياء (8/142).

التعليق

هذا الأثر فيه موعظةٌ وعبرةٌ، ، وفيه جملة من الفوائد:

الفائدة الأولى: عظم ما في الصحابة رضي الله عنهم من خشية وخوف، وصلاح في القلوب، فإنهم رضي الله عنهم أتقى الناس، وأخشاهم بعد الأنبياء لله سبحانه مع ما هم عليه من سبق علمٍ وعملٍ وعبادة، وهذا ورد كثيرًا عن الصحابة، فأبو بكر رضي الله عنه يقول -وهو من؟ أفضل رجل بعد النبي: «يَا لَيْتَنِي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ» (المتمنين لابن أبي الدنيا 26) ، ويقول أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «يَا لَيْتَنِي كَبْشًا، فَذَبَحَنِي أَهْلِي، فَأَكَلُوا لَحْمِي، وَحَسَوْا مَرَقِي» (المتمنين لابن أبي الدنيا 30)، كله من شدة الخوف، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ويقول أبو ذر رضي الله عنه: «وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ عز وجل، خَلَقَنِي يَوْمَ خَلَقَنِي شَجَرَةً تُعْضَدُ» (المتمنين لابن أبي الدنيا 31) ، كل هذا خوفًا من الله، فهم قومٌ حيت قلوبهم، وارتوت بمحبة الله ورجائه وخشيته، فخوفهم حملهم على العمل ونحن قوم أمنا فحملنا أملنا إلى الكسل الذي بعده الندم؛ لأن العبد بين أمرين: بين خوف في الدنيا، ثم يأمن في الآخرة، وبين أن يأمن في هذه الدنيا فيخوف في الآخرة.

الفائدة الثانية: : أنهم رضي الله عنهم ما بكوا على فراق هذه الدنيا؛ لأنهم عرفوا حقارتها، وأنها أحقر من أن تسيل من أجلها دمعة مؤمنٍ، فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت كذلك لما سقى منها كافرًا شربة ماء، لذلك النبي ﷺ ضرب لنا مثلاً بالدنيا، قال: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (الترمذي (2377)) ، يعني هذه الدنيا مثل هذا الظل، فإن كنت تأمن أن يدوم لك الظل فأمل أن تدوم لك الدنيا.

هي الدارُ دارُ الهمِّ والغمِّ والعَنا ***سَريعٌ تقضِّيها قريبٌ زوالُها
مياسيرُها عُسْرٌ وحزنٌ سرورُها *** وأَرباحُها خسرٌ ونقصٌ كمالُها
إذا أَضحكتْ أبكتْ وإن رامَ وصلَها **غبيٌّ فيا سُرْعَ انقطاعِ وصالِها

الفائدة الثالثة: أنهم رضي الله عنهم مع عظيم أعمالهم خافوا على أنفسهم، فأبو هريرة رضي الله عنه صحابي جليلٌ، وهو من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، أخذ عن النبي ﷺ، وحفظ من سنة النبي ﷺ الشيء الكثير مع هذا العمل والصدق واليقين وحفظ الدين والجهاد في سبيل الله، ونشر العلم يخافون.

لذلك بعض الصحابة خافوا على أنفسهم إن وقفوا بين الجنة والنار، وخيروا يقول عثمان رضي الله عنه، عثمان ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين المهديين، مبشر بالجنة. يقول رضي الله عنه: «لَوْ وُقِفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أُصَيَّرَ رَمَادًا، أَوْ أُخَيَّرَ إِلَى أَيِّ الدَّارَيْنِ أَصِيرُ، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا»(المتمنين لابن أبي الدنيا 51) ، تأمل لأنه موقف عصيب، للأسف أصبحت بعض القلوب لا تأثر من هذه المواقف هي كالحجارة بل أشد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16]

وصلى الله على نبيّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

من معين أئمة الدين

فتن عمياء

قال مطرف بن الشخير رحمه الله: «إن الفتنة لا تجيء تهدي الناس، ولكن تجيء تقارع المؤمن عن دينه» حلية الأولياء (2/204).

التعليق

هذا الأثر فيه فوائد:

الفائدة الأولى: فيه فقه السلف في الفتن، وقد زاد وعاد أئمة الدين بل القرآن ثم السنة، ثم أئمة الدين في التحذير من الفتن، والنصوص في ذلك كثيرة متضافرة.

الفائدة الثانية: الأصل في معنى الفتن أنها الامتحان والابتلاء والاختبار.

الفائدة الثالثة: أن الفتن قد تكون بالخير وقد تكون بالشر، وقد تكون من أقدار الله المؤلمة، وقد تكون الفتن من الشهوات، وقد تكون الفتن من الشبهات.

الله سبحانه وتعالى يختبر الناس بها فقال:﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]،

الفائدة الرابعة: خطورة الفتن، وأن الأصل في الفتن أنها تجتنب ويبتعد عنها، لذلك قال النبيﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ » (رواه أبو داود (4263)) ، وقال النبي ﷺ في الفتن: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ » (رواه البخاري (7081)) ، يعني من تصدى لها تأخذه، وهذا قوله: «لا تجيء تهدي»، لا تأتي الفتنة لتدلك على طريق الحق، قال: «ولكن تجيء تقارع المؤمن عن دينه»، تأتي تقارعه وتنافسه وتصارعه على دينه، الأصل في الفتن أنها تجتنب، فإذا علم العبد أن هذا الأمر له فتنة لا بد أن يجتنبه.

لأنك بالتعرض لها تعرض أغلى ما عندك وهو إيمانك للزوال أو النقصان ، أو للانقلاب أو غير ذلك، والعاقل لا يضيع أغلى ما عنده ولاحظ عبارة: «ولكن تجيء تقارع المؤمن عن دينه»، يعني المؤمن الذي كمُل إيمانه وعنده الإيمان وثابت، ويظن من نفسه الثبات والقوة تأتيه تقارعه، أما الساقط فهو ساقط قبل الفتنة وساقط عند الفتنة لكن تأتي عند صاحب الإيمان القوي تقارعه، لذلك أتى في الحديث: «وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ» (رواه مسلم (1844))، فهو هكذا فإن خاف نجا، وإن اعتمد على نفسه ووثق بها وظن أن عنده إيمان قوي فإنه يخشى عليه الهلاك، وعلى هذا الفتنة إذا وقعت قليلٌ من يثبت فيها.

الفائدة الخامسة: أن الفتنة تأتي ولها ظاهر جميل ينخدع بها الناس، ولكن لها باطن قبيح، فإذا أقبلت رآها الناس جميلة، فإذا قربوا منها ظهر لهم قبحها فيصعب عليهم بعد ذلك الخروج عنها، وقد تصيبه وتنفحه.

الفائدة السادسة: أن علامة وقوع الرجل في الفتنة أنه يعتقد ما كان حلالاً حرامًا وما كان حرامًا حلالاً، كما قال حذيفةرضي الله عنه : «فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان يرى حرامًا ما كان يراه حلالاً، أو يرى حلالاً ما كان يراه حرامًا، فقد أصابته الفتنة» (حلية الأولياء (1/273)) ، وهذا له صور كثيرة جدا منها: في المال وفي الدعوة والعلم، والسنة والعقيدة والرجال، فانظر إلى حالك قبل الفتنة، وانظر إليها بعد وقوع الفتنة تعرف أيّ رجل أنت.

الفائدة السابعة: أن من أسباب انتشار الفتن الجهل والهوى، وأصحاب الباطل، وأصحاب الشهوات، وهي تكثر بالنجوى، وتكبر بالشكوى، والنبي ﷺ يقول: «الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ من أيقظها» (رواه الرافعي في تاريخ قزوين (1/291)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (3258): منكر).

الفائدة الثامنة: أما أسباب النجاة من الفتن: العلم الشرعي، التمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم، لزوم غرس العلماء الربانيين الذين لزموا السنة ولزموا الجماعة، لزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لحكام المسلمين، الصبر،

ومن هذا المنطلق يجب علينا دومًا أن نتواصى بالحق وبالصبر نتواصى بلزوم السنة وترك البدعة ونصبر على الأسباب المنجية لأن أهل الفتن لا يملون ولا يفترون ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

كتم الحسنات

قال مطرف بن الشخير رحمه الله: «اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك» حلية الأولياء(3/240).

التعليق

في هذا الأثر من الفوائد:

الفائدة الأولى: العبد في أعماله ما بين حسنات أو سيئات، والحسنات قلبية اعتقادية كالإخلاص، والنية الصالحة، والتوكل على الله ومحبته، فما كان في القلب يبقى في القلب لا يظهر، فلا يقول الإنسان للناس: والله أنا نويت الخير، أنا توكلت على الله، هذا في قلبك فيبقى في القلب، ومن الأعمال ما يظهر على اللسان وما يظهر على الجوارح، فهذه الأعمال التي تظهر على اللسان أو على الجوارح الأصل فيها إخفاؤها، أو الغالب فيها الإخفاء إلا ما دل الدليل على إظهاره، كصلوات الجماعة، والتكبير في العيد، والأذان، وخطبة الجمعة غيرها من الأعمال التي هي ظاهرة، هذه تُظهر ويخلص فيها لله سبحانه وتعالى ، وبعض الأعمال يظهرها العبد لمصلحة راجحة كان يتصدق أمام الناس لله وبنية أن يتشجع الناس في هذه الصدقة ويتصدقون.

والله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ أثنى على من أخفى عمله، فالنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» (رواه مسلم (2965)) ، وقال النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»، وقال النبيﷺ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاه» (رواه البخاري (1423)).

الفائدة الثانية: حرصُ العلماء والأئمة من الصحابة إلى يومنا هذا على إخفاء أعمالهم كما يحرصُ العبد منا اليوم على إخفاء سيئاته، هل يستطيع الإنسان أنه يأتي أمام الملأ ويقول: أنا اليوم اغتبت، أنا اليوم زنيت، أنا اليوم كذا لا، بل يكتم سيئاته لأن السيئات الأصل فيها القبح، والناس تبغضها، ففطرته تأبى أن يظهرها إلا من انتكست فطرته، وذلك له وعيد شديد، أما الحسنات فشهوة الإنسان ونفسه تحب أن تظهرها أمام الناس؛ لأنه يحب أن يمدح فيقول: فعل كذا وفعل كذا وفعل كذا، فالمجاهدة في كتم الحسنات علامة الصدق والإخلاص، وعلامة حب الآخرة، لذلك قال بعض أهل العلم: "لم يَصدُقْ مع الله من أحب الشهرة" وأذكر لكم قصة هنا عن بريدة ابن الحصين رضي الله عنه قال: «شهدت خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة- مكان مرتفع يجاهد فيه-، فقاتلت حتى رئي مكاني، وعليّ ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبا أعظم علي منه» (السير (2/470))، لا يعلم أنه ركب في الإسلام ذنبًا أعظم علي منه، قال الذهبي: «أي: الشهرة»، قال الذهبي: «ولعل بريدة رضي الله عنه بإزرائه على نفسه، يصير له عمله ذلك طاعة وجهادًا»؛ لأنه تاب وندم، قال الذهبي كلمة جميلة: «جهالُ زماننا يعدون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد»، في زماننا من يحاول إظهار أعماله ليجمع الناس حوله، وقد بلغ الصحابة والأئمة مبلغًا عظيمًا في إخفاء أعمالهم، حتى ورد عن محمد واسع رحمه الله قال: «إن الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته بجنبه لا تدري عنه» (صفة الصفوة (3/269))،وكان ابن المبارك رحمه الله إذا رقَّ قلبه عند التدريس والمحاضرة فخاف أن يظهر ذلك عليه قام، أو غير حديثه، عجبًا لهذا الزمان من الناس من يظهر في أقل مدة ويرتفع صوته بكاء وبعض أهل العلم لما خطب كان يحاضر فأراد البكاء فقال: الزكام، فلما أتى مرة ثانية وأخذه البكاء قال: الكبر شين، يعني خرف ولا يظهر عن ما عنده من عمل.

وبعض الناس يتباهى بمعلوماته قال النخعي رحمه الله : «إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن ما عنده» (صفة الصفوة (3/88)) حتى في العلم والمطارحة يبغضون أنه يظهر الانسان بما لذلك حب الشهرة سواء كانت في دين أو دنيا تقسم الظهر، وتجعل الإنسان نيته لغير الله سبحانه وتعالى ، ويصعب عليه التراجع بعد ذلك، يقول الفضيل رحمه الله : «من أحب أن يُذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر» (الحلية (8/88)) ، من أحب أن يذكر بين الناس ويشتهر اسمه لم يذكر، ومن كره أن يذكر بين الناس ذُكر، وقال بشر ابن الحارث رحمه الله : «لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح» (الحلية (8/342)) ، فقارن مقارنة يسيرة بين علماء الدين الأوائل، وبين بعض من يظهر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فسترى فرقًا شاسعًا ولك أن تتأمل ما يقوم به بعض المتعالمين من كتابة رسالة صغيرة عبر الوتساب ثم يختمها بقوله كتبه أو رقمه أو انتقاه !؟ أين أنتم من قول الشافعي رحمه الله : «وَدِدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ حَرْفٌ مِنْه» (المجموع للنووي (1/12)) ، والأشد من يذهب إلى الحرم تجد فيصور نفسه يصلي أو يقرأ أو يدعو والأمر أشد وأنكى إن كان من يتسم ويتصف بالعلم والسمت والدين يفعل مثل هذه الأفعال.

نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية من هذا المرض القلبي الذي يردي بالإنسان في المهالك.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

الطريق إلى مكة

عن عاصم بن سليم قال: «صحبت عطاء من السائب إلى مكة فكان يختم القرآن في كل ليلتين» مختصر قيام الليل للمروزي (ص157).

التعليق

هذا الأثر فيه فوائد:

الفائدة الأولى: في هذا الأثر اعتناء أئمة الدين بالتعبد لله ربّ العالمين، سفرًا وحضرا، فكانت حياتهم لا تخلو من تعبد لله سبحانه وتعالى ، حتى في وقت السفر الذي فيه تكثر الرخص إلا أنهم أيضًا يجتهدون في التعبد لله سبحانه وتعالى ، حتى أن منهم من كان يقال عنه لا تفقده في ليلة إلا قائمًا أو باكيًا، وهم في السفر، وذكر صاحب ابن أبي الدنيا أن عطاء كان يختم في كل ليلتين. متى؟ كان في سفر مشقة نحن في حضر لا نختم في شهر، في دعة وراحة لا نختم في شهر، وذكر صاحب الحلية (4/14) عن داوود بن إبراهيم: أنهم كانوا في رحلة في الحج، فاعترضهم أسد، فاعترضهم أسد حبس الناس ليلةً في طريقهم إلى الحج، فخوف الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر، ظلوا الليل كله وهم خائفون من الأسد، فلما كان السحر قبل الفجر ذهب عنهم الأسد، فنزل الناس يمينًا وشمالاً من شدة التعب، فألقوا أنفسهم وناموا من شدة التعب رموا أنفسهم وناموا، فقام طاووس بن كيسان يصلي، فقال له رجل: ألا تنام؟ الوقت وقت نوم، تعب، ألا تنام فإنك نصبت هذه الليلة، فقال طاووس رحمه الله : «وهل ينام السحر أحدٌ»، مستنكرا عليه، وبعض أهل العلم كان ينشغل بالتأليف في السفر، فكتاب زاد المعاد لابن القيم حُقّق في خمسة مجلدات أو ستة، ألفه ابن القيم في سفره إلى الحج، هذه الفائدة الأولى تجعلنا ننظر إلى أنفسنا، نظرة صدق، أين أنت، وأين هؤلاء الأئمة، وما حالك وما حالهم، وماذا تفعل أنت في يومك، وما هم يفعلون في يومهم .

الفائدة الثانية: استغلال موسم الحج بالطاعة والعلم والعبادة، وبعض الناس إذا ذهب حاجًّا ذهب متفكّهًا متسليًّا، عقد النية رحلة شبابية، وهذا غلط، لذلك يترتب عليه أنهم إذا وصلوا إلى مناسك الحج: عرفة مزدلفة ومنى والطواف، تجد حياتهم أقرب إلى حياة الترف والضحك واللعب، لا تجد الخشية والرهبة في تلك المناسك والتعبد والذكر، فهذا مغبونٌ محرومٌ إن كان لاهيًا بمباح، أما إذا كان يلهو بمحرم فهذا فاته أجرٌ عظيمٌ، ووقع في ذنبٍ على حسب معصيته، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (رواه البخاري (1819)) ، وقال ﷺ : «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (رواه أحمد (9941)).

الفائدة الثالثة: في الحجّ اختيار الصحبة الصالحة في الحج وفي كل سفر، لكن في الحج أولى للإنسان أن يختار صحبةً صالحة؛ لأنه يذهب إلى دار عبادة، والصاحب الصالح إما أن يذكرك بطاعة، أو يخوفك من الله، أو ينصحك بنصيحة أو يعلمك علمًا نافعًا، لذلك واصل قال: صحبت عطاء ابن السائب، وهو من الأئمة، وكانوا يصحبون مجموعة من الناس معهم عالم من العلماء، فصحبة الصالحين خير ونفع للإنسان في الدنيا والآخرة، بل العلماء كانوا يحرصون على ذلك في الحج أشد الحرص، ليس الصاحب الصالح يعني الذي قام بالواجبات وترك المحرمات، بل ينظرون إلى من هو فاضل عالمٌ في فضله، لذلك جاء رجل إلى الثوري فقال: إني أريد الحج، فقال: «لا تصحب من يكرم عليك»، يعني يتمننّ عليك، قال: «فإن ساويته في النفقة أضر بك»، واحد عنده مال ويتمنّن بماله، عليك، قال: «ساويته في النفقة أضر بك»، فتحرص على مساواته والتباهي مثله فيضر بك ، قال: «وإن تفضل عليك استذلك» (حلية الأولياء (6/381)) ، وإن تفضل عليك وأعطاك أذلك، فالإنسان لا يصحب في سفره إلا من هو عاقل لين سليم حليم منشرح الصدر، غاضًّا عن الخطأ ناصحًا.

الفائدة الرابعة: الحرص على لقاء العلماء في الحج ومصاحبتهم، كما فعلوا في قصة طاووس مما اعترضهم الأسد، فكانوا يصحبون معهم بعض العلماء في رحلتهم يستفيدون منهم، والحج منزل ومهبط كثير من العلماء، فإنك تلقى من العلماء ما لا تلقاهم عند غيره، فيجتمع علماء الشرق والغرب جميعهم في هذه الأيام، خصوصًا أيام منًى: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، فانزل بساحتهم واقطف جنى علمهم.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

التحذير ممن تشبه بالعلماء وهو ليس منهم

عن عاصم قال: كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ-يعني شباب قاربوا البلوغ-، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا-يعني أبا عبد الرحمن السلمي وهو معلمهم-: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَ إِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»، قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَ ائِلٍ» مقدمة صحيح مسلم (1/20).

التعليق

من فوائد هذا الأثر:

الفائدة الأولى: تلقي طلاب العلم الصغار العلم على العلماء الكبار، والحرص على زيارتهم ومجالستهم والاستفادة منهم.

الفائدة الثانية: اعتناء أئمة الدين بالشباب، والحرص على تعليمهم، وتوجيههم وتحذيرهم من الشر، وهذا ما كان يفعله خير البشر محمد ﷺ، فكان يردف ابن عباس خلفه، وكان يلاعب الحسن والحسين، ويوجه ويعلم صغار السن، لذلك يقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(رواه ابن ماجه (61)) ، فكانوا يتعلمون أول شيء الإيمان، العقيدة، فأتت بعد ذلك العبادات، وأتى بعد ذلك القرآن، فزادهم إيمانًا وتثبيتًا وقوةً.

الفائدة الثالثة: أنّ أئمة الدين من العلماء الربانيين كانوا يحذرون الشباب من أهل البدع، ولا يمنعهم صغر سنهم من التحذير من أهل البدع؛ لأن تربيتهم على أخذ العلم من أهل الحق يكون عندهم حب للحق ووضوح في الطريق وحتى لا يشب الطالب وفي قله شيء من الشبه والقواعد الفاسدة.

الفائدة الرابعة: أن أئمة الدين أيْضا يحذرون الشباب من القصّاص ممن لم يعرف بالسنة والأمانة والعلم، لذلك قال: لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص، وأبو الأحوص كان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان قاصًّا، يعني يقول القصص وقتله الخوارج

فلماذا أهل السنة وأئمة الدين يحذرون من القصص مع أن القصص وردت في القرآن والسنة؟ يحذرون من القصاص لأن القصاصين في الغالب لا علم عندهم، وليسوا على منهج سنّي، فهم يغلبون جانب القصص، ويستغلون هذا الجانب لجمع الناس حولهم، لإيصال أفكار مخالفة لهم، مثل شقيق كان قاصًّا، وهو يرى رأي الخوارج، وهذا ما يفعله الخوارج اليوم، يشغلون الناس بالقصص، مهمشين لأصول العقيدة والعبادة وإنما مرادهم من القصص تكوينَ قاعدة شعبية، ثم يبث تلك الفكرة الخارجية فيتنفذ عنده الأمر بكل سهولة عند الشباب، فالقصاصون بين حاطب ليل وصاحب هوى وأما أهل السنة فقليل ما هم فقصهم مع قلتهم أنفع لصحته، وإيصال الناس به إلى العقيدة الصحيحة، والأحكام السليمة، والأخلاق الحميدة، الإمام أحمد يقول: «ما أحوجنا إلى قاصٍّ صاحب سنة أمين» (تلبيس إبليس)، أما قص غيرهم فتخبطات؛ لذلك كان الإمام مالك يحذر من القصص، أبو إدريس الخولاني يحذر من القصص والقصاصين، ابن عمر يحذر من القصاصين، ابن مسعود يحذر من القصاصين، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا هَلَكُوا قَصُّوا» (رواه الطبراني (3705)) ، كان سبب هلاكهم كما قال بعض أهل العلم القصص، وقد خطف أهل الأهواء الشباب بأسلوب القصص لذلك كان السلف وأئمة الدين يحذرون، ويعتقدون أن من أعظم النعم أن يتنسك الشاب على صاحب سنة، يقول ابن شوذب: «إن من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسّكا أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها؛ لأن الشاب والأعجمي يأخذ فيهما ما سبق إليهما» (الشرح والإبانةلابن بطة (91)) ، فغن سبقت العقيدة الصحية فاز وإن لا هلك وأهلك لذلك كان بعض أهل العلم يبين أن الشاب في المعصية أحب من كونه في البدعة ولو ظاهره التدين يقول ابن جبير: «لأن يصحب ابني فاسقًا، شاطرًا، سُنِّيًا، أحب إليَّ من أن يصحب عابدًا مبتدعًا» (الشرح والإبانةلابن بطة (89)) ، الفكر خطير لو تسرب للشباب، يقول حماد بن زيد: «قال لي يونس: يا حماد إني لأرى الشاب على كل منكرة، فلا أيئس من خيره، حتى أراه يصاحب صاحب بدعة، فعندها أعلم أنه قد عطب» (الشرح والإبانةلابن بطة 94) ، ولذلك من الهم جدًا حماية الشباب من هذه الاختطافات وذلك بأمرين:

الأمر الأول: ربط الشباب بالعلماء الربانيين أهل السنة الصافيين المعتدلين، لا خوارج لا قصاص الموضوع خطير عنده اثنين وسبعين وادي انحراف، مفتاح هذه الأودية علماء أهل الضلال، ومفتاح طريق الحق علماء أهل السنة وهو واحد وعن طريق الوصول.

الأمر الثاني: تحذير الشباب بعد غرس العقيدة السليمة، من الأفكار المنحرفة وأهل البدع المتطرفين.

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنب أبناءنا هذه الأفكار المتطرفة الهدامة.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

عجب من ثلاث

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : «انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو ملاقيه، ويرى في عين أخيه القذاة فيعيبها، ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبها، ويكون في دابته الضِغن ويقومها جهده، ويكون في نفسه الضّغن فلا يقومها» ابن المبارك في الزهد (ص508).

التعليق

هذا الأثر فيه ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: الإيمان بالقدر، وهو ركن من أركان الدين والإيمان، وهو أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى له الملك كله سبحانه، لا يخرج شيء عن علمه وكتابته وخلقه ومشيئته جل في علاه، فهو يعلم ما كان وما يكون، ويعلم خائنة الأعين، ويعلم ما الخلق عاملون قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأنّ من الإيمان بالقضاء والقدر أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فأين تفر، فأنت في قضاء الله وقدره، وما تعمل به وتفعله فهو من قضاء الله وقدره، والعبد يعمل فيما يسره الله له، فإن كان من أهل السعادة يُسّر لعمل أهل السعادة، وإن كان من أهل الشقاوة يُسّر لعمل أهل الشقاوة.

الوقفة الثانية: في هذا الأثر في قوله: «ويرى في عين أخيه القذاة -يعني المرء- فيعيبها، ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبها»، وهذا حال بعض الناس، عينه سهمٌ على إخوانه، فيرى فيهم العيوب الصغيرة ويكون منشغلاً بذلك فيرى في هذا نوع تقصير، ويرى في هذا زلة لسان، ويرى في هذا زلة بصر، ويرى في هذا تساهل بعض المرات في درس أو نحو ذلك، فهو منشغل بعيوب الناس، انشغاله بعيوب الناس منعه من رؤية عيبه الكبير، فهو فيه من العيوب أشد من العيوب التي في الناس، قد يكون واقعًا في كبيرة من كبائر الذنوب، عاقًّا لوالديه ويرى ذاك الذي انشغل في مباح أو ترك مستحبا مقصر وهو عاق واقع في كبيرة من كبائر الذنوب، لكن لا يرى الخلل الذي فيه، وهذه علامة خذلان، فإنّ المخذول من أعمى الله بصيرته عن رؤية عيبه، وأصبح يرى عيوب الناس، فلا هو مصلح لعيوب الناس ولا هو يرى عيوب نفسه فيصلحها، فهو واقع بين خطرين، لذلك حال هذا الإنسان الذي يرى عيوب الناس وهو منشغل بعيوب الناس:

أولا: أن يكون ساهيًا عن إصلاح نفسه.

الأمر الثاني: انشغاله بعيوب غيره.

الأمر الثالث: طعنه في غيره، تجده كثير الغيبة في الناس.

قال بعض العلماء إذا عرف الرجل عيوب نفسه فحينئذ يبلغ مبلغ الرجال، هذا الذي يسمى رجل، وقال بعضهم: من علامة استدراج العبد ، يعني استدراج الله للعبد، قال: أن يعميه عن عيوب نفسه، فيقع في معصية ثم معصية أخرى ثم معصية ثالثة ولا يراها، وهذا المرض له أسباب قد يكون بسبب العجب بالنفس؛ أو تقصيره في محاسبة نفسه، ويكفي في نظرته هذه أن تكون هذه مهلكته، فذاك المقصر الذي عنده شيء من التقصير وعنده عتاب للنفس، قد يكون خيرا من ذاك الذي عنده تقصير لا يراه بل يرى في نفسه الكمال، ويرى في نفسه الحسن.

وعلاج هذه الآفة بأمر:

الأول: بالمحاسبة كما قال بعضهم: لا يعرف العبد عيوب نفسه حتى يحاسبها في أحواله كلها.

الأمر الثاني: أن يرى منّة الله عليه وأنه مهما أدى وفعل فإنه مقصر.

الأمر الثالث: أن ينظر حال الأئمة قبله، بل حال النبي ﷺ ، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان يقول: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (رواه البخاري (1130))، يقوم حتى تتفطر قدمه ويخاف ويقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (رواه الترمذي (3522)) ، كذلك كان الأئمة يجتهدون في العبادة، وينظرون إلى أنفسهم نظرة التقصير.

الوقفة الثالثة: «ويكون –المرء- في دابته الضِّغن-يعني الضعف في سيرها يعني أنها دابته التي يركب عليها ويرتحل ويذهب ضعيفة في السير- ويقومها جهده-يعني يسعى بكل جهده حتى تكون هذه الدابة سيرها سير نشيط-، ويكون في نفسه الضّغن فلا يقومها»، هذا حال عجيب أن ترضى لدابتك سواء كانت حيوانًا أو سيارة بأن تكون في أزين حلة وأقواه وأنشطه، وتكون أنت العاقل الذي تركب عليها في ضعف ودنو همة، هكذا هم البعض يهتم بالشكليات ويترك الانشغال بروحه وسعادته، وهذا أيضًا علامة عدم توفيق ، فالإنسان غير موفق الذي ينشغل بالتافهات أو بالأشياء التي إذا فاتت لا تضر، ويجعلها في أحسن الكماليات وأحسن الصفات وأجملها وأسبقها وأحسنها، ويأتي إلى روحه التي سيحاسب يوم القيامة عنها فلا يعتني بها.

من معين أئمة الدين

رفيق الدرب

قول الأوزاعي رحمه الله : «الرَّفِيقُ بِمَنْزِلَةِ الرُّقْعَةِ فِي الثَّوْبِ إِذَا لَمْ تَكُنْ مِثْلَهُ شَانَتْهُ» .

رواه البغدادي في الجامع (2/235)

التعليق

هذا الأثر من الأوزاعي رحمه الله في بيان منزلة الصديق والصاحب وفي هذا الأثر من الفوائد:

الفائدة الأولى: أن المرء محتاج للصديق كاحتياج الثوب إلى هذه الرقعة، فإن الثوب إذا لم يرقع الشق الذي فيه يزداد حينًا بعد حين، فإذا رقعه برقعة مناسبة له لم يزداد هذا الشق، وكذلك المسلم أو المسلمة، يحتاج إلى رفيق فإذا ابتعد أو ابتعدت عن الرفقة الصالحة زاد فيه وفيها الخلل والنقص والنكس، فإذا قَرُبت وقَرُب من الرفقة الصالحة رقع هذا النقص، واشتد العود.

الفائدة الثانية: أن الأصحاب أو الرفقاء على نوعين: نوع كالرقعة التي تناسب ثوبة وهم الرفقة الصالحة، فهؤلاء الذين يصاحبون ويرافقون، ونوع كالرقعة المشينة للثوب، وهم الرفقة السيئة الطالحة، فهؤلاء الذين يجب على العبد أن يجتنبهم ويبتعد عنهم.

الفائدة الثالثة: أن الرفقة الصالحة وغير الصالحة تتميز ببعض الضوابط والشروط، فإن توفرت في هذا الصاحب هذه الشروط فالزم غرسه، وعضّ عليه ولا تتركه، وإن لم تتوافر هذه الشروط فأنت تبتعد منه على قدر خلله ونقصه:

فأول هذه الشروط: أن تكون الصحبة لله وفي الله، أن تكون لله لا لغرض دنيوي ولا لمصلحة شخصية، وتكون في الله، يعني فيما يحبه الله جل وعلا على طاعته، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ» (رواه البخاري (16)، ومسلم (43)).

الشرط الثاني في الصاحب: أن يكون على عقيدة سنية، فصاحب السنة لابد أن تكون رقعة ثوبه منه وفيه صاحب سنة مثله، لا يصاحب السني مبتدعًا أبدًا، والنبي ﷺ قال: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» (رواه الترمذي (2378)،وحسنه الألباني) ، وقال إبراهيم القصار: «أشد البلاء صحبةُ من يخالفك في اعتقادك، و أولى الناس بالصحبة من يوافقك في اعتقادك» (البيهقي في الشعب (9484)).

الأمر الثالث: من الضوابط أن يكون هذا الصاحب تقيًا، يتقي الله جل وعلا ، يخشاه يخافه، لا يتجر على معاصي الله، ولا يتجرأ على ترك واجبات الدين، لذلك جاء عن النبي ﷺ : «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» (رواه الترمذي (2395)،وحسنه الألباني).

الضابط الرابع: أن يكون هذا الصاحب عاقلًا، عنده عقل حكمة حلم تؤدة، لا يكون أحمقًا ولا مفسدًا، وإن كان صالحًا؛ لأن هذا الحمق مع الصلاح يفسد الإنسان أو يضره، أو يوقعه في بعض الفتن ، قال ابن المقفع: «مؤاخي الأحمق نادم» (البيهقي في الشعب (9485)).

الضابط الخامس: أن يكون هذا الصاحب حَسنَ الخلق، يعني باختصار جميل الكلام مهذب الأفعال، قال أبو عمرو السلمي: «من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنّه غير مهذب» (طبقات الأولياء لابن الملقن (ص107)).

الضابط السادس: أن يكون الصاحب سليم الصدر، لا مريض القلب متقلب الصحبة، كالحسود، أو سيء الظن، هذا لا يدوم معك صحبته، فهؤلاء يعادونك لحسدهم وسوء ظنهم.

الضابط السابع: أن يكون هذا الصاحب ثابت العهد في الصحبة، ومعنى ثابت العهد أن لا يكون ملولًا ولا متلونًا يوم معك ويوم ضدك وهو ذو الوجهين، يأتيك بوجه ويأتي الأخر بوجهٍ آخر، يقول ابن المقفع: «معاشر الخبّ –الخداع- مغبون» (البيهقي في الشعب (9485)).

الضابط الأخير: أن يقوم هذا الصاحب بحقوقك، كما أنك تقوم بحقوقه من تعاهد نصح وصبر وتغافل وزيارة وعيادة، وإهداء شيء من الهدايا، وطيب الكلام وغير ذلك من حقوق الصحبة والأخوة، عن مجاهد رحمه الله قال: «كانوا يقولون لا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحقّ مثل ما ترى له» (البيهقي في الشعب (9502)) .

فمن وجد في صحبة هذه الضوابط فليعض عليها ولكن يحذر من ثلاثة أمور في صحبته لهم (الفوائد (ص52)) :

الأمر الأول: تزين بعضهم لبعض.

الأمر الثاني: ألا تزيد هذه الخلطة على قدر الحاجة.

الأمر الثالث: ألا يذهب أصل مقصود مخالطتهم مع بعض.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

يحمد الله على مصابه

قال شريح رحمه الله : «إِنِّي لَأُصَابُ بِالْمُصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ-يصاب بالمصيبة فيحمد الله عليها ليس مرة ولا مرتين ولا ثلاث بل أربع مرات-: أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِيَ الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُهُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ-يعني أن أقول إنا لله و إنا إليه راجعون- وَأَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي». السير (4/105).

التعليق

هذا الأثر من هذا العالم الجليل القاضي رحمه الله يبين لنا أن العبد لا بد له من المصائب والبلايا، وأنه مهما يكن الإنسان في منزلة إلا أنه قد يصاب بالمصائب، فمن فوائد هذا الأثر:

الفائدة الأولى: أن المصائب في هذه الدنيا لابد من وقوعها ففي مراحل حياة الإنسان لا بد من مصيبة يصاب بها من نقص في المال، أو مرض، أو فقد للولد، أو نحو ذلك، لذلك يقول اللهسبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]، فالدنيا فإنها لن تصفو لأحد.

الفائدة الثانية: المصائب تصيب أهل الإيمان أكثر من غيرهم، وليس ذلك دليلاً على عدم محبة الله لهم، ليست الإصابة وعدمها دليل على المحبة وعدمها، بل قد تكون الإصابة بالمصيبة دليلاً على المحبة، لذلك يقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (رواه البخاري(5645)) ، وعلى قدر الإيمان يكون البلاء.

الفائدة الثالثة: أنّ هذه المصيبة قد تكون في حق بعض الناس نعمةً، فهي في ظاهرها مصيبة مؤلمةٌ موجعة لكنها في الحقيقة نعمة لهذا الشخص من وجوه منها: رفعة الدرجة، والرجوع إلى الله جل وعلا، فأهل الإيمان مع الصبر تنقلب مصيبتهم نعمة وخير، ولا علاج للمصيبة كعلاج الصبر، فهو علاج نافع ناجع لها، وكما قرر ابن القيم (طريق الهجرتين (ص164-163)) أن الناس في الابتلاءات على قسمين: فمنهم من إذا ابتلاه الله جل وعلا رجع إلى الله وأخبت إليه، وانكسر بين يديه، وتضرع له، والمصائب بتراء لا دوام لها، فتكون هذه المصيبة في حقه نعمة ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 216].

قال: ومن الناس من إذا أصابته المصيبة تفرق قلبه ورجع إلى الخلق وتعلق بهم، وترك ضراعته ودعاءه سبحانه وتعالى، وتسخط، وهذا هو الهلاك والشقاء.

الفائدة الرابعة: لا بد عند المصائب من تحقيق عبودية الصبر والحمد والاسترجاع قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 155 – 156]، ما الثمرة؟ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157] ، لذلك جاء عن أم سلمة أنها قالت: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ» (رواه مسلم (918)).

الفائدة الخامسة: حسن فهم أئمة الدين لباب القضاء والقدر، ومعرفتهم ما يسلي النفس عند الإصابة بالمصيبة، انظر إلى شريح يقول: «إِنِّي لَأُصَابُ بِالْمُصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ » وهذا مهم في المصائب نظرة قلبية تخففها بأن تقارن بها وبما هو أعظم منها فتهون عليك والذي يزيد خفتها أنها ليست في الدين بل في الدنيا والنقص في الدنيا التي هي محل النقائص أهون من النقص في الدين الذي لا جابر لكسره.

وكلُّ كَسْرِ الفَتَى فالدِّينُ جابِرُهُ ... والكَسْرُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ غَيْرُ مُلْتَئِمِ

فجبر الدين صعب وصعوبته من وجهين: إما أن يكون واقعًا في بدعة، وصاحب البدعة كما جاء في الحديث: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ» (رواه ابن أبي عاصم في السنة (37)، وصححه الألباني) ، يعني لا يهتدي إلى التوبة، فكسره في دينه كونه وقع في تلك البدعة ما يستطيع أن يرجع إلى الدين الحق إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى، وإما أن يكون صاحب شهوة متعلق قلبه بتلك الشهوة لا يستطيع أن يترك تلك الشهوة، وهذا مصاب أيضًا عظيم، فينكسر دينه، والكسر في الدين قد يكون في العقائد أو الواجبات، ومن أراد أن لا يكسر فلا يتلاعب بدينه، قال الإمام مالك : "تلاعب بكل شيء إلا بالدين"

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

آية أبكته ليله

قال يحيى بن الفضل الأنسي : «سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر: أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله، وسألوه ما الذي أبكاه فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، قال: يا أخي، ما الذي أبكاك؟ قد رعت أهلك، أفمن علة؟ أم ما بك؟ قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عز وجل، قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: 47] قال: فبكى أبو حازم أيضًا معه واشتد بكاؤهما» . الحلية(146/3).

التعليق

في هذا الأثر من الفوائد:

الفائدة الأولى: حرص أئمّة الدين، على العبادة التي منها قيام الليل، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: الوِتْرُ، جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ» (رواه الترمذي (452)، قال الألباني: صحيح دون قوله: «هي خير لكم من حمر النعم».) ، وقال النبي ﷺ:«عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ»(رواه الترمذي (3549)، وحسنه الألباني) ، وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:«يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (رواه البخاري (1152)، ومسلم (1159).).

الفائدة الثانية: رقّة قلوب علماء المسلمين وأئمّة الدين بل وحياة قلوبهم، لذلك أورثت هذه الحياة في القلب هذا البكاء، فكانت قلوبهم تتأثر عند سماع القرآن، كانت قلوبهم تجلُّ وتخاف، وكانت أعينهم تدمع، ويشتد بكاؤهم عند تلاوة القرآن، ومن ذلك أن عبد الله بن عروة بن الزبير سأل جدته أسماء بنت أبي بكر قال: قُلْتُ لِجَدَّتِي أَسْمَاءَ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذا قَرَءُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: كَانُوا كَمَا نَعَتَهُمُ اللَّهُ عزوجل: «تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ، وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ» (التفسير من سنن سعيد بن منصور (2/331)) ، وقال بن أبي مليكة: «صحبت ابن عباس في سفر، فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن يقرأ حرفًا حرفاً، ويكثر في ذلك من النّشيج و النّحيب» (شعب الإيمان للبيهقي (2061).) ، هنا أمر مهم لكل مسلم ولكل طالب علم، بعض الناس غفل عن القرآن وعن الاعتناء به وعن تلاوته وتدبره والعمل به، فإن قرأ -والقراءة قليلة- بلا تدبر وقليل من يحفظ كتاب الله عزوجل، وإن حفظ نسيَ، فهو بين نسيان لما حفظ، وبين عدم تدبر لما قرأ، والعمل في ذلك أقل وأقل، وهذا والله حرمان وتقصير أن يكون كلام الله بين أيدينا ونفرط فيه هذا التفريط، طالب علم يدعي محبة العلم وقراءة العلم وينشغل بالعلم عن كلام الله عزوجل هذا تقصير، بل أول علم ينشغل به ويحفظه ويتعلمه كتاب الله عزوجل، لذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه كلمةً جميلةً، يقول: «من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين» (شعب الإيمان للبيهقي (1960)) ، وتخشى أن طالب العلم أو المسلم مع عدم اعتنائه بالقرآن أن يكون فيه خلل قلبي ومرض دخيل على القلب، كيف يغفل الإنسان عن ربيع القلب، وعن نور الصّدر، وعما يجلو الحزن والهم والغم، كيف يغفل الإنسان عن كلام رب العالمين، كيف يغفل الإنسان عن ما هو شفاء للقلوب، لذلك يقول عثمان رضي الله عنه كلمةً جميلةً وهو آخر ما نتكلم عنه في هذا الأثر، قال رضي الله عنه: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عزوجل» (الزهد للإمام أحمد (680)) ، فعلى قدر طهارة القلب يكون الاعتناء بكلام الله؛ لذلك يذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في ليلة في وتر رمضان، يقول القحطاني:

من كان يسهر ليلة في ركعة   وترا فيكمل ختمة القرآن

فوجدوا لذّتهم في كتاب الله وجدوا حياتهم، وجدوا قلوبهم، فما استطاعوا ترك هذه هذا الكلام العظيم الذي هو كلام ربّ العالمين.

بركة الرضا

قال الحسن البصري رحمه الله : «مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَسِعَهُ وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يَسِعْهُ وَلَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ» رواه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه (ص112).

التعليق

هذا الأثرُ فيه من الفوائد والتنبيهات:

الفائدة الأولى: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قسم الأرزاق، فأعطى هذا ومنع هذا، وزاد على هذا، وأنقص على هذا قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [الزخرف: 32]، فالأمر صادر من خبير عليم حكيم عدل.

الفائدة الثانية: وهي أن الواجب على العبد التسليم لقضاء الله وقدره، وأن يرضى بما قسمه الله سبحانه وتعالى له، فإنّ الرضا بما قسمه الله يجعل الإنسان في سعة مما أعطاه الله فيسعه ذلك العطاء، حتى لو كان فقرًا فإنه يوسع ويبارك له فيما عنده، كذلك في كل أنواع الابتلاءات يرضى الإنسان بما قسمه، فيجد فيه سعة ويجد فيه بركة، ويجد فيه رضا الله سبحانه وتعالى، قال النبي ﷺ: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْط» (رواه الترمذي (2396)، وابن ماجه (4031))، وكذلك من لم يرض بما قسمه الله سبحانه وتعالى لم يسعه ذلك العطاء، وإن كان هذا العطاء واسعًا، فالرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى منزلة عظيمة، وهي منزلة أعلى من منزلة الصبر، فالرضا يزيد على الصبر بسرور النفس وانشراح الصدر عند وقوع قدر الله، والصبر قد يكون فيه نوع قبض على القلب، لا انشراح فيه.

الفائدة الثالثة: هذه المرتبة هي مرتبة الرضا، لا تنال ولا يصل الإنسان إلى مراتبها إلا بتحقيق باب معرفة الأسماء الصفات، فتقدم محبة الله وشرعه وأمره الكوني والقدري، وتقدمت معرفة حكمة الله سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى ما ابتلاه بهذا البلاء إلا لأمر عظيم، لذلك ابن القيم ذكر في طريق الهجرتين (1/362): أن البلاء له أكثر من ثلاثين حكمة، معرفة هذه الحكم مما يجعل الإنسان يصل إلى مرتبة الرضا؛ أن الله سبحانه وتعالى ما ابتلاك إلا ليهذبك ليقربك ليرفع درجاتك، إذا ابتلى الله عبده أصاب منه، أن الابتلاء في الدنيا تخفيف عن البلاء في الآخرة، وغير ذلك من الحكم والأشياء التي تجعل الإنسان يصبر ويرضى ثم أن تعرف أن المُلك كله لله، وأنت عبد في هذه الدنيا، ثم تنظر نظرة أخرى إلى أن هذه الدنيا دنية في جميع مقاماتها إلا طاعة الله سبحانه وتعالى، ففيها دنو لا كمل للإنسان فيها، فإذا نظرت هذه النظرة، ونظرت إلى الدار الآخرة وما فيها من غنى وكمال وجمال ، فإنك تسلم وترضى.

الفائدة الرابعة: أن الرضا جنة الدنيا لا يعرف حقيقته إلا من ذاقه، وهو أيضًا مستراح للنفس وطمأنينة للقلب، وتأمل قول الله سبحانه وتعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، هذه الآية تلخص لك أبواب البلاء، وكيف تصبر عليها، وما هي الثمرة من ذلك، وما هو الطريق إلى الوصول إلى هذا الرضا، يقول ابن كثير: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه» (تفسير القرآن العظيم (8/161)).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

تكريم المرأة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «النِّسَاءُ عَوْرَةٌ خُلِقْنَ مِنْ ضَعْفٍ، فَاسْتُرُوا عَوْرَاتِهِنَّ بِالْبُيُوتِ»

رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (ص140).

التعليق

هذا الأثر وإن كان ظاهره خاصًا بالنساء، فهو كذلك مما يحتاج معرفته الرجال، وفيه من الفوائد:

الفائدة الأولى: بيان أنّ المرأة عورة، وكونها عورة، أي: زينة في نظر الرجل وإن خرجت متسترة، فهي زينة في نظر الرجال، وقد أخبر النبي ﷺ فقال: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» (رواه الترمذي (1173)، وصححه الألباني).

الفائدة الثانية: كون المرأة ضعيفة، خلقنت من ضعف، فهذا الضعف الذي في المرأة يحتاج من يقومه ويحميه، ويأخذ بيده إلى الطريق الصواب السليم، وهو الرجل من زوجٍ أو وليٍّ، وكذلك هي ضعيفة لا تقوى على مصادمة الفتن والشهوات، فهي ضعيفة من حيث عدم قوة القلب في مقاومة ما يرد عليه من شهوات أو شبهات، فتأملوا مع هذا الضعف أنّ الشيطان يستشرفها، فيزين ويملي في قلبها الفتن الشهوات إذا خرجت يزين نظر الرجال إليها، فالعدو بالمرصاد لها قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6].

الفائدة الثالثة: أن هذا الضعف وهذه العورة يسترها ويحفظها البيت، فهو جنتها، فهو جَنَّة وجُنَّة، فهو وقاية لها، وستر وحماية، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، فأمرهن بالقرار في البيوت، وهذا الأمر لمن؟ لنساء النبي ﷺ، وهن أتقى النساء، فمن بعدهن من باب أولى، فإن تركت المرأة قرار بيتها بلا حاجة أوقعت نفسها، وهي ضعيفة في شراك الشيطان، وفي فخاف من في قلبه مرض، من شهوات، وشبهات، خصوصًا إذا كان هذا الخروج إلى الأسواق؛ فإن النبي ﷺ يقول: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا» (رواه مسلم (671).).

الفائدة الرابعة: أنّ المرأة لا تخرج من بيتها -الذي هو سترها وحمايتها، وفيه قرارها وهي فيه ملكة آمرة ناهية- إلا عند وجود الحاجة، وتتحين الأوقات الآمنة التي من عادة النساء أن يخرجن فيها، وكذلك ترصد الأماكن الآمنة، فلا بد أن تعرف الوقت والحاجة فبعض الكماليات والتحسينيات ليست من الحاجيات التي يترتب عليها الخورج من المنزل.

الفائدة الخامسة: أنها إذا خرجت لحاجة فلتتقي الله، ولتخرج محتشمة متسترة حيية غاضة من بصرها، خافضة من صوتها، بلا زينة في لبسها، ولا رش طيب يفوح منها، متجنبةً مخالطة الرجال، وإن سارت فلا تتوسط الطريق، وإن اضطرت إلى الكلام مع الرجال فإنها تتكلم بصوت لا ميوعة فيه ولا فتنة ولا تلامس أيدهم عند البيع والشراء، ولا تظهر من جسدها شيئًا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31] لتحذر المرأة من النظر إلى الساقطات، ولا تغتر بكثرة الهالكات، ولا تميل مع المائلات المتبرجات، وعليها بالصبر والعلم، وصحبة المؤمنات العابدات الصالحات الناصحات المحتشمات، فلا يغرنك كثرة الهالكين، ولا تزهدي في قلة السالكين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ نساء المؤمنين، وصلى الله على نبيّنا محمّد.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

من معين أئمة الدين

وصية من العلماء

كان أهل العلم يتواصون بينهم بقولهم: «من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين النّاس، ومن اشتغل بآخرته كفاه الله مؤونة الدنيا». التبوكية.

التعليق

هذه الكلمات كلماتٌ نافعة تتضمن ثلاثة أمور.

الأمر الأول: إصلاح سريرة العبد، بأن يكون في سرّه خاشعًا خائفًا راغبًا راهبًا لله جل وعلا، أن تكون بواطنه متعلقةً بالله، أن يكون قلبه حيًّا، مراقبًا لله جل وعلا، من كان على هذا الشأن سريرته صالحة أصلح الله له علانيته، أصلح الله له ظاهره وجوارحه، أصلح الله له سمعه وبصره وكلامه ومشيه وبطشه، فأصل صلاح الظاهر صلاح الباطن، أما ظاهر بباطن خاوٍ، فسرعان ما يظهر هذا الخواء والخلاء من الباطن إلى الظاهر، فيصبح الظاهر خرابًا كما أن الباطن خرابٌ، لذلك أولى ما يعتني به الإنسان صلاح هذا القلب، «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (رواه البخاري52).

الأمر الثاني: من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، من أصلح ما بينه وبين الله بالإيمان والعمل الصالح، من أصلح ما بينه وبين الله بتحقيق العقيدة، إقامة الصلاة، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، أصل الله ما بينه وبين الناس؛ لأن من أصلح ما بينه وبين الله أحبه الله، وحبّب الناس فيه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: 96]، يحبه الله ويحبب الله فيه خلقه، لذلك جاء في الحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ»(رواه البخاري (3209)).

الأمر الثالث: أن من اشتغل بآخرته كفاه الله مؤونة الدنيا، من جعل الهم همّا واحدًا همَّ الآخرة كفاه الله هموم الدنيا كما جاء في الحديث: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(رواه ابن ماجه (4105))، من اشتغل بالآخرة خضعت له الدنيا وصلحت، وكفاه الله جل وعلا مؤونتها، أي: عناءها من رزق وطلب للمعيشة وغير ذلك، فسهلت له أمورها كلها؛ أمور الدنيا، أما من اشتغل بدنياه فإنه مضيع لأخراه ودنياه: «وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وجَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ»، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»(رواه ابن ماجه (257))، فمن اشتغل بهذه الفانية لم يدرك منها إلا شيئًا قليلاً إذا كتبه الله له، وهو في النهاية أمر فانٍ، يضيع عليه أخراته، ولا يجتمع حب الأخرى وحب الدنيا، فقد جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»(رواه أحمد (19697)) ، وجاء عن بعض الأئمة كعلي رضي الله عنه أنه قال: «لا يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة، كما لا يجتمع المشرق والمغرب»، فالحب والتعلق وقرة العين إنما تكون لأمور الآخرة، وعلى أصلها وأساسها محبة الله ورسوله، قال ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»(البخاري (16))، ولا تحرك للعبد في طاعة الله حتى يقرَ هذا الحب في القلب، حب الله وحب رسوله، حب العمل الصالح.

اللهم إنا نسألك حبّك وحبّ من أحبك وحبّ عمل صالح يقربنا إليك.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

لزوم الحق

كتب عمربن الخطاب إلى معاوية رضي الله: «أن الزم الحقّ، ينزلك الحقّ في منازل أهل الحقّ، يوم لا يقضى إلا بالحقّ» رواه ابن عبد البر في بهجة المجالس (2/583). .

التعليق

هذا الأثر فيه أمر وثمرة؛

- فالأمر بلزوم الحقّ، وهي وصية عزيزة ومهمة، قد أمر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه، وأمر بها النبي ﷺ في سنته، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 153]، وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ» (رواه أبو داود (4607)) ، كثيرٌ من الأدلة تدل على لزوم الحق، لكن لزوم الحق يحتاج فيه إلى شيئين: بدأ السير في الحق، ثم الثبات على هذا الحق؛ لأنه ليس كل من بدأ في السير ثبت على الطريق.

-أما الثمرة، فهي أن الحق ينزل العبد منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق، يعني في يوم القيامة، فالعبرة ليست في الدنيا، فقد يكون الإنسان في الدنيا على الحق وليس معه أحد من الخلق، لكن عليه أن ينظر إلى يوم الحقّ حتى يعينه ذلك على الثبات على هذا الحق، ثم هناك تظهر الثمرة الأكيدة، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ الله والرسول فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ لَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النبيينوالصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء: 69]، هناك الرفقة، ولزوم الحق أيضًا كما أنه له ثمرة في الآخرة أيضًا له ثمرة في الدنيا، قال سعد ابن أبي وقاص لسلمان رضي الله عنهما: «أوصني»، فقال سلمان: «أخلص الحق يخلّصك» (الآداب الشرعية لابن مفلح (1/42)) ، لاحظ الكلمة: «أخلص الحق يخلّصك» ، يعني إذا كنت صادقًا وخالصًا وصافيًا في أخذ هذا الحق والعمل به فسوف يخلص الإنسان من كل معضلة وفتنة، لكن هنا سؤال ما هي أسباب الثبات على الحق، هي باختصار:

أولاً: صدق النية؛ أن يكون صادقًا مع الله.

ثانيًا: كثرة الدعاء.

ثالثًا: العلم.

رابعًا: الصبر.

خامسًا: الدعوة إلى الحق.

سادسًا: صحبة أهل الحق.

سابعًا: أن يحذر من كل فتنة من شهوة وشبهة.

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

ما كبرت إلا صغرت

عن حذيفة رضي الله عنه عنه قال: «إن الله لم يخلق شيئاً قط إلا صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنّه خلقها كبيرةً ثم تصغر» بهجة المجالس لابن عبد البر (ص250).

التعليق

وهذا الأثر من حذيفة أثرٌ عجيبٌ وجميل في تربية النفس على الصبر وتحمل الابتلاء، فهو يكشف لنا حال المصائب، ويهون على العبد المصيبة، فإن العبد إذا علم أن المصيبة من الله قدرًا، وله فيها حكمةٌ بالغةٌ من دفع مصيبةٍ أكبر منها، أو من رفعة درجةٍ لم يكن ليصلها بعمله، أو فتح باب خير بعد هذه المصيبة لم يكن يتوقع أن يفتح له، ثم بعد ذلك النظر إلى تلاشيها واضمحلالها، فإذا نظر لها بهذا المنظور هانت وسهُل عليه أن يدفعها ويقاومها، وكما قال الشاعر:

هَوِّنْ عَلَيْك فَكُلُّ الْأَمْرِ مُنْقَـطِع ** وَخَلِّ عَنْك عَنَـانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْـدِهِ فَرَجٌ ** وَكُلُّ أَمْرٍ إذَا مَـا ضَـاقَ يَتَّسِعُ
إنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ** فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

فإذا نظر الإنسان إلى أن هذه المصيبة أو المصائب أول ما تأتي كبيرة لكن سرعان ما تتلاشى وتصغر، فعليه أن يصبر في أول هذه المصيبة، وهنا أمر مهم أن النفوس عند ورود المصائب على نوعين:

الأول: نفس صغيرة وهي النفس التي إذا أتته المصيبة انشغلت بالمصيبة نفسها، وزاد هذا في همه.

النوع الثاني: نفس كبيرة، وهي نفوس إذا أقبلت المصيبة عليها نظرت إلى جانب العبودية في هذه المصيبة، والفكر في الأسباب التي تخرج الإنسان عن هذه المصيبة.

يقول ابن القيم -لاحظ كلمة ابن القيم جميلة وهي تربية للنفس-: «فإن المكروه إذا ورد على النفس، فإن كانت صغيرة -يعني النّفس- اشتغلت بفكرها فيه -اشتغل بنفس المصيبة، هم دين، مرض، يبدأ يفكر في المرض مرض مرض فيزيد مرضه، يبدأ يفكر في الدين فيزيد همه وغمه- وفي حصوله عن الفكرة في الأسباب التي يدفعها به فأورثها الحزن، وإن كانت نفساً كبيرة شريفة لم تفكر فيه-أي في هذه المصيبة-، بل تصرف فكرها إلى ما ينفعها، فإن علمت منه مخرجاً فكرت في طريق ذلك المخرج وأسبابه، وإن علمت أنه لا مخرج منه، فكرت في عبودية الله فيه، وكان ذلك عوضاً لها من الحزن».

فكل مصيبة ينظر لها من حيث النفسية الداخلية إلى ذاتها فإنه سيزيد من ألمها، ولكن إذا فكر في أسباب الخروج منها، فكر في حكمة الله، فكّر في عبودية الله التي هي الصبر، فكّر كيف تستغل هذه المحنة والابتلاء في الرجوع إلى الله عز وجل، فإنه بإذن الله يؤجر ويخرج منها.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

حلاوة العبادة

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ:قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ الرَّازِيُّ: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِدَ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ، وَتَبْلُغَ ذِرْوَةَ سَنَامِهَا، فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَائِطًا مِنْ حَدِيدٍ» رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (ص80).

التعليق

العبادة لا بد لها من أثر على القلب، وأثرها على القلب أنه يجد حلاوة تلك العبادة فيه، وإذا وجد القلب حلاوته، لم يعدل بها حلاوة من حلاوات الدنيا أبدًا، وإن اجتمعت للإنسان كل أنواع اللذات، فلو اجتمعت للإنسان الدنيا بين يديه فلن يجد طعمًا ولذةً وحلاوةً كحلاوة الطاعة في القلب، ولكن الذي يحول بين هذه اللذة التي في القلب وبين العبادة هو باب شهوات الدنيا، وشهوات الدنيا إن كانت مباحةً وتعلق بها الإنسان فلها أثر في حلاوة الطاعة، أما إن كانت محرمةً فهي أساس إزالة هذه الحلاوة هذا على ما يترتب عليها من أثر في نفس العبادة، لذلك لابد على الإنسان كما قال الرازي أن يضع بينه وبين شهوات الدنيا، : حائطًا من حديد، فهذا الحائط لن يريك شهوات الدنيا، وإذا لم ترَ ولم تسمع فلن تفكر، وإذا لم تفكر فلن تعمل في هذه الشهوات الدنيوية، حتى التفكير قد يكون له أثرٌ في حلاوة الطاعة، يقول الفضيل بن عياض: «فرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة» (حلية الأولياء (8/100)) ، فلا يمكن أن يجتمع في القلب حلاوة الطاعة وحلاوة الدنيا، حلاوة الطاعة حلاوةٌ دائمةٌ، ولذة لا تعدلها لذة، وحلاوة الدنيا لذةٌ مؤقتةٌ، فلا تجتمع اللذتان، فإن أردت أن تخرج لذة الدنيا وشهواتها من القلب فلابد أن تنظر لها نظر البصير بحقيقتها، والناظر إلى الدنيا يرى عدم دوامها، أو تقلب أحوالها، فمن فرحٍ إلى حزنٍ، ومن حياةٍ إلى موتٍ، من سعادةٍ إلى شقاءٍ، وهكذا تقلب، فلا تدوم على حال، ثم ينظر إلى حقيقتها في الكتاب والسنة، الله سبحانه سمّاها: ﴿متاع الغرور﴾ ، والمتاع لا يحرص عليه الإنسان، وجعلها النبي ﷺ لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فقال ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (رواه الترمذي (2320)، وابن ماجه (4110)، وصححه الألباني) .

هل معنى هذا أننا نترك الدنيا؟ لا، هل معنى هذا أننا لا نعمل شئًا من أعمال الدنيا؟ لا، إذًا كيف نتعامل مع الدنيا؟ أخبر النبي ﷺ بحديثٍ جميلٍ مختصر، كيف يتعامل الإنسان مع الدنيا، فقال ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» (رواه ابن ماجه (2144)، وصححه الألباني) ، قال ابن القيم في شرح هذا الحديث: «الدنيا والآخرة ونعيمها ولذاتها إنّما ينال بتقوى الله، وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء والكدّ والشقاء في طلب الدنيا، إنما ينال بالإجمال في الطلب -يعني لا يتوسع الإنسان في طلب الدنيا، وإنما يأخذ منها قدر حاجته-، فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها، ومن أجمل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها» (الفوائد (ص59)).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

موقف أبوي تربوي

من جميل المواقف أنه «كان لربيع -وهو أحد علماء المالكية- أربعة إخوة كلهم صالحون فضلاء، وكان سليمان والد ربيع يجلس في اللّيل مع أولاده، فإذا خطر في نفسه شيء يسأل عنه من العلم يقوم من مكانه ويجثو على ركبتيه بين يديه، فيقوم إليه ربيع ويقول: يا والدي لم فعلت هذا؟ فيقول له: إنّما أردت أن أعطي العلم حقّه فيسأله عما يحب، فيجيبه ثم يرجع إلى مكانه»

(رياض النفوس (2/325))

التعليق

هذا الموقف موقفٌ عظيمٌ جدًّا، وفيه عدة فوائد:

الأولى: أهمية هذا العلم، وأنه لو رزقك الله طالب علم في بيتك فإنها نعمة عظيمة، فهو الكنز الحقيقي.

الثانية: نعمة البيت الصالح فإنهم جميعًا صالحون، وهذه نعمة عظيمة ومنة كبيرة.

الثالثة: أن الله يميز الأولاد بعضهم عن بعض فالربيع تميز عن إخوانه بالعلم مع أنهم أهل خير وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا شك أن هذا التميز يجعل له معاملة خاصة لا ينبغي لمن لم يحصل عليها أن يحسده في هذا المقام.

الرابعة: التواضع للعلم وأهله فإن سليمان مع أنه أب لربيع إلا أنه ذهب إليه وجثا على ركبتيه ليسأل ولده عن مسألة.

الخامسة: أن طالب العلم في البيت لا بد أن يكون لينًا خافضًا جناحه محبوبًا عند أهله، لا ينفرهم عن العلم بسوء أخلاقه، فإن علم ربيع مع جمال خلقه كان سببًا لحب أهله للعلم.

السادسة: من الآداب المهمة لطالب العلم الذي ينبغي له أن يتحلى بها في مجالس العلماء أن يكون مقدرًا للشيخ متواضعًا بيد يده طيب الكلام حسن السؤال، فمن كان كذلك فإنه سينال من العالم علمًا كثيرًا أما من كان على عكس ذلك فإنه يغلق على نفسه باب الاستفادة من العلماء في مجالسهم.

السابعة: على الأب أن يجعل لأبنائه وقتًا يجلس فيه معهم سواء كان أسبوعيًا أو يوميًا أو شهريًا حتى يخلو بأبنائه فيستفيد ويفيد، وهذا مهم جدًا لا سيما في وقتنا هذا فإن الشبهات والشهوات قد غزت البيوت ودخلت القلوب فلا يفيق الأب إلا وأحد أبنائه قد تخطفته الشياطين، فمثل هذه الجلسات التي تحتوي فيها أبناءك تكون بمثابة القنطرة التي تزرع فيها الخير وتصفي فيها من الشر

الصدق كالنخلة

قال مالك ابن دينار: «إن الصدق يبدو في القلب ضعيفًا كما يبدو نبات النخلة، يبدو غصنًا واحدًا، فإذا نتفها صبي ذهب أصلها، وإن أكلتها عنزٌ ذهب أصلها، فتسقى فتنتشر، وتسقى فتنتشر حتى يكون لها أصلٌ أصيل يوطأ، وظل يستظل به، وثمرة يؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفًا فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركةً على نفسه، ويكون كلامه دواءً للخاطئين» (الحلية (2/359-360))

التعليق

هذا الأثر فيه فوائد مهمّة:

الفائدة الأولى: أهمية الصدق في حياة المسلم، وخصوصًا من سلك طريق طلب العلم، فعلى طالب العلم أن يعتني بالصدق في قلبه، ينمّيه ويربيه ويتعاهده، ولا يستعجل في ثمرته، كما يعتني الإنسان بنخلته وزرعه.

الفائدة الثانية: أنّ للصدق أسبابًا تنميه وتكبره، منها طلب العلم الشرعي، والدعاء، وصحبة الأخيار، وقراءة القرآن، والنظر في سيرة الصالحين، وكذلك هناك أسبابٌ تذهب هذا الصدق أو تنقصه كالذنوب والمعاصي، والابتعاد عن طلب العلم، والتقصير في الدعاء، وصحبة الأشرار، وهجر القرآن، فعلى المسلم أن يعتني بالأسباب التي تنمّيه ويجتنب الأسباب التي تنقصه.

الفائدة الثالثة: من ثمرات الصدق أنه يكون بركةً على نفس الإنسان، وذلك بأن يجد حلاوة الطاعة، ولذة مناجاة الله، والثبات على دين الله.

الفائدة الرابعة: أن من ثمرات الصدق: أن يكون في كلام الصادق أثر على السامع، فيكون كلامه دواءً للخاطئين، وتذكرة للمعتبرين، وهدًى للمتحيرين.
فعلينا أحبتي بالصدق كما قال وكيع: «هذه بضاعةٌ لا يرتفع فيها إلا صادقٌ»(حلية الأولياء (7/72)).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

قرة العين

سأل كثيرٌ الحسن قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، قَوْلُ اللَّهِ عزوجل:﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74] أَفِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: لَا بَلْ فِي الدُّنْيَا قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: الْمُؤْمِنُ يَرَى زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهُ مُطِيعِينَ اللَّهَ عزوجل، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَقَرُّ لِعَيْنِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَرَى زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهُ يُطِيعُونَ اللَّهَ عز وجل» . ابن أبي الدنيا في العيال (617/2).

التعليق

هذا الأثر فيه من الفوائد:

الفائدة الأولى: إن من نعم الله على العبد وسعادته الدنيوية أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله، ممتثلين أمر الله سبحانه وتعالى ، وفي المقابل من الابتلاء والحزن أن يرى الرجل ولده وزوجته عاصين لله.

الفائدة الثانية: تقديم الزوجة على الذرية في الآية فيه بيان أهمية صلاح الزوجة؛ لأنها في الحقيقة من سيباشر تربية الذرية، ففي صلاح الزوجة في البيت أثرٌ كبيرٌ على ذرية الرجل، وفي فساد الزوجة أو عدم صلاحها أثر سلبيٌّ على ذرية الزوج، لذلك أوصى الشرع أن يختار الرجلُ المرأة الصالحة، قالﷺ:«فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ» (متفق عليه).

الفائدة الثالثة: على وليّ أمر الأسرة الاجتهاد في صلاح زوجته بالسلوك بها أسباب الصلاح، وعليها هي في نفسها أن تسعى فيما يصلحها فيما بينها وبين ربها؛ لأن في ذلك استقرار حال الأسرة، وقرار عين الزوج، وصلاح الذرية، ومن أعظم أسباب صلاحها أن تكون متقية لله، تلهج بالدعاء، صابرةً على طاعة الله، جالسةً في مجالس أهل العلم ودروسهم، وعليها أن تختار الصحبة الصالحة من الأخوات اللاتي تعين صحبتهن على طاعة الله.

الفائدة الرابعة: على الزوج والزوجة أن يتعاونا في صلاح ذريتهما حتى يكون البيت بيتًا مستقرًا، ويكون الزوج والزوجة ممن تقر أعينهما، وذلك بسلوك طريقين:

الأول: الغرس والزرع، وذلك يكون بصلاح الزوجين فيما بينهما وبين الله، وبأن يكونا قدوة لأبنائهم ناصحين موجهين مربين متابعين، كل ذلك عن علمٍ ورحمةٍ وحكمةٍ وخوفٍ على الأبناء للمسؤولية.

الثاني: الحماية والتحصين، وذلك يكون بالحماية من المخاطر والتحصن منها ومن التحديات التربوية الكبيرة في عصرنا الأجهزة الذكية التي تحتوي على مواقع مفتوحة وألعاب متنوعة، فهي مهددات تربوية خطيرة، فعلى الأب والأم أن يقنن ويتابع ويشغل الأبناء فيما فيه نفع وخير من حضور علم أو انشغال فيما يكون من المباحات ونفعه يعود على الأبناء بالخير كالرماية والسباحة، والانشغال بالأشياء المباحة التي تبعدهم عن مثل هذه الأجهزة التي فيها ضرر عليهم والفائدة منها قليل، يقول الإمام مالك: «ينبغي للرجل أن يؤدب أهله وولده، ومن يجب عيه فرضه، وقد قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(متفق عليه) ، فأدب أهلك أو من وليت أمره على أدبك وخلقك حتى يتأدبوا على الذي أنت عليه ليكونوا لك عوناً على طاعة الله» (ترتيب المدارك للقاضي عياض (173/3)) .

والمقصود من هذا كله أن من أسباب سعادة الإنسان أن تكون الأسرة طائعةً لله، وما دخلت معصية في بيت إلا كانت سببًا لنوع من أنواع التعاسة الأسرية.

من رام الوصول فعليه بالأصول

قال محمد بن السماك: «الأخذ بالأصول وترك الفضول من فعل ذوي العقول» الحلية (204/8).

التعليق

هذا الأثر فيه راحة قلب، ودلالة على حسن العقل، وعلى حسن التدين، وله شقان:
الأول: الأخذ بالأصول في كل شيء فأخذ الإنسان أصول العلم يوصله، وأخذه لأساسيات حاجته يريحه، وأخذه بأصول الكلام يسلمه وأخذه بأصول السماع غنيمة له وهذا كله دليل على رجاحة عقله، وسلامة قلبه، وحسن إسلامه، والنبي ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (رواه الترمذي (2317)،وصححه الألباني).

الشق الثاني: ترك الفضول في جميع أنواعه وصوره سواء كان في النظر، أو الكلام، أو السماع، كل ذلك مما يسلم الإنسان من الوقوع في الآثام، ويريح قلبه ويلينه؛ لهذا قيل: الكفايات تصل إليك بلا تعب، والتعب بالفضول، فدع عنك الفضول تعش حميدا، وخذ ما كنت محتاجًا إليه تعش سليمًا، فترك الفضول يريح القلب، خصوصًا فضول التطلع على خصوصيات الناس.

تنبيه مهم: هناك بعض الناس يظن أن الفضول ممدوح، وهو في الحقيقة مذموم، فيطلع على بيوت الناس كيف نسقت، وبكم اشتريت هذا، وكيف فعلت هذا، ولماذا فعلت هذا، وإذا خرج إلى سفر أين سافرت، ومتى ذهبت، وكم دفعت، ولماذا دفعت، ومن معك، وهل أنت مرتاح مع زوجتك أو لا، وما هو سبب كذا، والنساء يسألن المرأة هل أخذك في رحلة، هل سافرت، هل اشتريت، فضول بحث، دائم عن الأشياء التي لا يحتاج إليها الإنسان، هذا الفضول في التطلع فيما عند الناس يتعب القلب ويفسد غيرك، فهو في نفسه تجده متعب القلب؛ لأنه يرى عند الناس أشياء كثيرة وليست عنده فيكون قلبه متطلعًا لما في أيدي الناس، والنبي ﷺ قال: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ» (رواه مسلم (2963))، وكذلك يترتب عليه أذى للغير إما حسد وإما حقد وإما عداوة وإما إرسال كلمة تثير العداوة والشحناء بين الناس، فراحة القلب وزيادة العقول في ترك هذا الفضول في جميع حياة الإنسان كل ما لا تحتاج إليه فلا تتعب نفسك في الوصول إليه.

أصل العلم وثمرته

أورد الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين»(48) عن بعض أهل العلم أنهم قالوا:

«أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ، وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ».

التعليق

فأصل العلم الرغبة، أي: أن يكون الإنسان راغبًا مرغِّبًا في هذا العلم، وذلك بأن ينظر في فضل العلم وأهله، تلك المنزلة التي لا بد أن يتنافس للوصول إليها المتنافسون؛ لأن العلم رفعة في الدين والدنيا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، فلا مساواة بين أهل العلم وأهل الجهل، وأخبر النبي ﷺ: «وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(رواه الترمذي (2682) وصححه الألباني)، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(متفق عليه)، رفعةٌ ووضعُ الملائكة أجنحتها، رضا الله، ميراث نبوة، أجر عظيم لطالب العلم، وثمرة هذا العلم ونتيجة هذا العلم الذي سيصل إليه السعادة، وذلك أن أصل السعادة في العلم وأصل الشقاوة في الجهل.

فالجَهْلُ أَصْلُ ضَلَالِ الخَلْقِ قاطِبَةً *** وأَصْلُ شَقْوَتِهِمْ طُرًّا وظُلْمِهِم

والعِلْمُ أَصْلُ هُداهُمْ مَعْ سَعادَتِهِمْ *** فلا يَضِلُّ ولا يَشْقى ذَوُو الْحِكَمِ

كيف يكون العلم سعادة؛ لأنه من علم عرف كيف يعبد الله، ومن عبد الله لابد له من تحقق السعادة في قلبه، كما قال الله سبحانه وتعالى في الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، محبةً في قلوب الخلق، ومحبة من الله لهم، فلا بد لمن علم وعمل أن ينال السعادة، وينجى بفضل الله من الخسارة، ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ [العصر]، ثم العلم سعادة في تطبيقه في حياة الإنسان، فإن طبقه التطبيق الصحيح في جميع حياته فسيكون سعيدًا، فإن طبق العلم الشرعي الصحيح مع ولاة أمره تطبيقًا صحيحًا فيكون مجتمعا آمنًا مطمئنًا، إن طبق العلم الصحيح مع والديه، فسيجد سعادة ورضا من الله سبحانه وتعالى له وعليه، إن طبق العلم الصحيح في حياته الزوجية فسيكون البيت بيتًا سعيدًا بعيدًا عن الخلافات، إن طبق العلم مع جيرانه فستكون الجيرة سليمة سعيدة، إن طبق العلم الصحيح وعمل به مع أصدقائه فسيكون سعيدًا في صحبته مع الأخيار، إن طبق العلم في جميع حياته فلا بد له من نتيجة السعادة، وما شقى من شقى أو ذاق بعض المرّ والأذى إلا بسبب البعد عن العلم والهدى، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124]، معيشة نكد وضنك وهمّ وغم وحزن، لا ترتفع ولا يرتفع ذلك إلا بأصل العلم، لذلك نحن نتعلم ونتدارس الفقه ونتدارس العقيدة، ونتدارس الآداب في دروسنا حتى نحيا حياةً سعيدةً، حتى نعرف نتعامل مع الله تقواه، ومع الناس بحسن الخلق فتكون الحياة حياة سعيدة، فلا بد من الحرص على جانب التفقه خصوصًا في الأمور التي يحتاجها المسلم من الواجبات العقدية والعبادات وأمور الأخلاق.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

طالب العلم بين اللين والغلظة

قال عبد الرحمن الزبيدي : «يُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَّاءِ كُلُّ سَهْلٍ طَلْقٍ مِضْحَاكٍ، فَأَمَّا مَنْ تَلْقَاهُ بِبِشْرٍ وَيَلْقَاكَ بِضِرْسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ فَلَا كَثَّرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ»(ابن أبي الدنيا في الإخوان (ص193))

التعليق

هذا الأثر فيه من الفوائد:

الفائدة الأولى: أنّ جمال طالب العلم في التحلي بالآداب، ومن تلك الآداب: اللين والرفق وطلاقة الوجه والتبسم والبشاشة في الوجه، فيكون الذي يراك بمجرد رؤيته إياك يستبشر ويفرح؛ لبشاشة قلبك، وهذا يقود إلى قبول العلم عند طالب العلم.

الفائدة الثانية: أنّ طالب العلم متى تحلى بالآداب كان له أثر عظيم على الناس وإن لم يدرس ويعلِّم، فمفتاح الدخول على قلوب الناس حسن الأدب.

الفائدة الثالثة: أنّ العلم وحده كمعلومات قد لا ينفع ولا يرفع، فلا بد مع العلم من العمل، ومن العمل التحلي بالآداب الواجبة والمستحبة.

الفائدة الرابعة: الدعاء على طلاب العلم ممّن ساءت أخلاقهم، وكشّر في وجوه الناس وعبس، وذلك الدعاء من الزبيدي عليهم سببه أنّ هذه الأخلاق تنفر الناس عن العلم، فالمفترض على طالب العلم أن يحبِّب الناس في العلم حتى ينهلوا منه خيرًا عظيمًا، فإذا اتصف بغير الأوصاف الحميدة ونفر الناس من العلم وحرمهم بسوء خلقه هذا الخير كان مستحق لأن يدعا عليه

الفائدة الخامسة: ما هو السبب الذي يجعل بعض طلاب العلم قد تكون أخلاقهم غير سوية وغير جيدة من الأسباب:

1- الطبيعة القاسية فطبيعة الإنسان الداخلية القاسية، تمنعه من اللين والتواضع.

2- رواسب الأخلاق السيئة القديمة، أخلاق سيئة استصحبها معه في طلب العلم لم يتخلص منها، مثال ذلك إنسان عبوس استقام وأصبح طالب علم ولم تزل هذه الصفة موجودة فيه، طالب العلم لا بد أن يغسل ويصقل أخلاقه بالكتاب والسنة.

3- عدم مجاهدة النفس في تهذيبها وتطويعها على الأخلاق الحميدة ودفع الأخلاق الذميمة، مثاله أن طالب علم يعرف من نفسه الحسد ولا يسعى لعلاجه ولا يطبق بل قد يؤول ذلك بالتأويلات الباطلة حتى يحسن في نظره الأخلاق الذميمة.

4- سوء فهم العلم، فبعض طلبة العلم يخلط بين السمت والوقار والسكينة والهيبة، وبين الكبر والغلظة والشدّة والفظاظة والغلظة يظن أن هذا هو السمت وليس هذا من السمت، بل هذه أوصاف منكرة في الشرع ليست من زينة طالب العلم، يريد الناس تهابه فيكون متكبرًا غليظًا، فالخلط في المفاهيم والمعلومات يوقع في سوء التصرفات.

5- تلقي العلم عند غير المربين، أو تلقي العلم عند من عنده تربية خاطئة أو سلوكيات خاطئة، فيرى شيخه بهذه الصورة فيتصف بنفس الصورة، لظنه أنّ هذا من السمت والوقار، وأن هذا من العلم، فيكون مثلاً الشيخ الذي يدرس عنده فضًّا غليظًا فيتأثر به ويقلده في ذلك، وهذا حاصلٌ يتأثر الشاب أو طالب العلم بشيخه فيُدخل في أخلاقه من أخلاقه وهو لا يدري.

ختامًا واجب على طالب العلم أن يتحلى بكل خلق يجده في السنة من بشاشة وابتسام وسماحة وغير ذلك ويعتني بقراءة الكتب التي دونت الآداب فينهل منها ككتاب الأدب المفرد للبخاري والعلم لأبي خيثمة وأخلاق العلماء للآجري وغيرها كثير.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

كيف تعرف الاخوة الصادقة

قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله : «أربعٌ تعرف بهنّ الأخوة: الصفح قبل الاستقالة، وتقدم حسن الظن قبل التهمة، ومخرج العذرقبل العتب، وبذل الودّ قبل المسألة» بهجة المجالس (ص199)

التعليق

هذا الأثر جميلٌ في الإخوة وكل صحبة، حتى في صحبة الإنسان مع زوجته وأرحامه وأهله وزملائه في العمل، ينطبق عليهم هذا الأثر في بيان حقيقة الصحبة النافعة، أو كيف تعرف صاحبك على الحقيقة، وهنا من المهم قبل تفسير الأثر أن نعلم أنّه لا يوجد أحدٌ من البشر بعد النبي ﷺ إلا وفيه شيءٌ من الزلل والخطأ والعثرات، يعني لن تجد صاحبًا ولن تجد زوجةً، ولن تجد الزوجة زوجًا، ولن يجد الإنسان صديقًا إلا وفيه شيءٌ من الزلل والنقص، فمن أراد أن يصاحب إنسانًا بلا زللٍ فليعش وحده، فمن تتبع كل زلةٍ فسوف يقطع كل صحبة، الإنسان الذي يحدق في الزّلات والأخطاء إما أن يضطر أن يعيش لوحده فينطوي، أو أنه يتتبع عثرات الناس -عثرات أصدقائه، عثرات زملائه، عثرات جيرانه، عثرات زوجته، يبحث وراء كل خطأ، يحدق النظر في الأخطاء، فهذا لا تدوم له صحبة، تنقطع معه جميع المخوات، لذلك يقال:

وَمن لَا يُغَمِّضْ عينَهُ عَن صَديقِهِ *** وَعَنْ بعضِ مَا فيهِ يَمُتْ وَهْوَ عاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جـــــاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ *** يَجِدْها وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْـرَ صاحِبُ

فصدق الإخوة تُعرف بهذه الأربعة التي ذكرها ابن عبد البر:

الأولى: الصفح قبل الاستقالة، يعني السماح والعفو قبل أن يأتي ويرجع ويندم، ويعتذر، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: 85]، والصفح الجميل صفحٌ بلا عتب، فكيف إذا الإنسان أتى واعتذر، فالصفح من باب أولى، كيف إذا كان المعتذر قريبًا عليك وحبيبًا، فالعذر أولى وأولى، قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: «لو أنّ رجلاً شتمني في أذني هذه، واعتذر إلي في أذني هذه لقبلت عذره» (بهجة المجالس (ص105)) .

العلامة الثانية: تقديم حسن الظنّ قبل التهمة، حسن الظنّ صفة من صفات أهل الإيمان وعلامة جميلة، تدل على سلامة القلب وانشراحه، وسوء الظن بلا بيّنة ودليل واضح كبيرة من كبائر الذنوب، تقود إلى التهمة والغيبة والنميمة وتفرق الأحبة، ففي معاملتك مع صديقك وصاحبك وزوجتك وأهلك لا بد أن تقدم حسن الظنّ قبل الاتهام؛ لأن سوء الظن يسبب التهمة، فالتهمة سبب للفرقة.

العلامة الثالثة: إخراج العذر قبل العتب، وهذا فرع عن حسن الظنّ أن تخرج لمن تصاحب عذرًا إذا أخطأ أو فعل فعلاً محتملاً أو تصرف تصرفًا في نظرك أنه غير سليم، فتبحث له عن عذر، لا تنتظره حتى يأتي ويعتذر ثم تعاتبه، فمن حسن الظنّ، فالتماس الأعذار للإخوان والأهل والأقارب، والأعذار منها ما يُعلم ومنها ما لا يُعلم، قد يقع بعض الناس في عذر أنت لا تتصوره، فإذا فكرت في ذهنك فقل: لماذا مثلاً هذا ما يأتي صلاة الجماعة، طالب علم ومستقيم، ولا يحضر صلاة الجماعة، مباشرة سوء الظن يذهب بالإنسان إلى التهمة، هذا مقصر، هذا متساهل، هذا فيه وفيه، ويأتي العتب بعد ذلك، فالظروف التي تحدث عنده قد لا تتصور، فلا بد أن تخرج له عذرًا، فإن لم فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه، قال عمر رضي الله عنه : «أعقل الناس أعذرهم لهم» (ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (ص49)) ، ولاحظ تقديم العذر قبل العتاب؛ لأن العتاب في الحقيقة أحبتي قد يتسبب في القطيعة خصوصًا إذًا كان كثيرًا وعلى كل شيء، لذلك يقال العتاب مفتاح القطيعة، وإن كنت لا بد معاتبًا فلتعاتب بالمعاريض، واللطف والرفق الصادر من محبٍّ رحيمٍ، أما كثرة العتاب يسبب الملل، ولا يؤثر بعد ذلك في الشخص الذي تريد إصلاحه.

الصفة الرابعة: بذل الود قبل المسائلة، أي تظهر له المحبة قولاً وفعلاً قبل أن يطلب منك، فهذه المحبة إما أن تكون بقولٍ لطيفٍ وعبارة جميلة، وإما أن تكون بفعلٍ من أخلاق حسنة ومعاونة ومساعدة وتفقد أحوال، لهذا جاء في السنة أنّ النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» (رواه الترمذي (2392)) ، ثم هذا الحب لا بد أن يكون منضبطًا، يعني لا يكون الحب زائدًا مما يترتب عليه الثقل، الإنسان إذا أحب إنسانًا وغلا في حبه يثقل عليه، أو يغار عليه غيرة مذمومة، أو يجلس يعاتبه في كل صغيرة وكبيرة، وكذلك لا يكون هذا الود جافيًا بحيث أنك إما أنك تحبه حبًا جمًّا، أو إنك تنسفه نسفًا، وفي الحديث، «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» (رواه الترمذي (1997)) .

قال عمر رضي الله عنه : «لا يكن حبك كلفًا ولا يكن بغضك تلفًا، قيل وكيف ذلك؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضًا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك» (عبد الرزاق في المصنف (20269)) فلا تكن صبيًا

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

من تختار لبنتك؟

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: إِنَّ عِنْدِي ابْنَةً لِي وَقَدْ خُطِبَتْ إِلَيَّ فَمَنْ أُزَوِّجُهَا؟ قَالَ: «زَوِّجْهَا مَنْ يَخَافُ اللَّهَ، فَإِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا وَإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلِمْهَا». العيال لابن أبي الدنيا.

التعليق

هذا الأثر فيه من الفوائد الاجتماعية:

الفائدة الأولى: استشارة أهل العلم والعقل والحكمة في تزويج الأبناء والبنات، وعليه يحذر الإنسان أن يستشير أهل الجهل والهوى والشهوات، لماذا، لأن كل واحد يدل على ما يوافق طبعه، وهذه مهمة جدًا لأولياء الأمور والآباء والأمهات، فقد يكون سوء الاستشارة سببًا لضياع البنت أو الابن لتزويجها ممن قد يفسدها أو يفسد ذريتها.

الفائدة الثانية: أن خير من زُوج التقي، والتقي في الزواج من جمع بين تقوى الله وحسن الخلق، لهذا قال النبي ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» (رواه ابن ماجه (1967)، وحسنه الألباني)، لماذا؟ ينتج الفساد والفتنة إذا لم يزوج صاحب الدين والخلق؛ لأن غير الديّن لا يعرف حقوقًا، وغير الخلوق لا يحسن في عشرة، فيترتب على ذلك توقد نار الخلاف والشقاق والطلاق، مما يسبب ضياع الأولاد والأسرة، قال الشعبي رحمه الله : «مَنْ زَوَّجَ فَاسِقًا فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهُ» (ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (1/270)) ، يعني أن الفاسق يتسبب في قطيعة الأرحام بسوء عشرته حتى أنه قد يقطع بين البنت وأبيها، بين البنت وأمها، فيتقاطعون ويتدابرون ويتباغضون بسبب هذا الفاسق.

الفائدة الثالثة: أن البيوت الزوجية لها ثلاث حالات تبنى عليها:

الحالة الأولى: أن تُبنى على الحب والرحمة، وهذه أفضل البيوت، الحب يُري قليل العمل كثيرًا، والرحمة تحمل التقصير على محمل العذر والاعتذار والسماحة والعفو، فتسير البيوت وهي متزنة.

الحالة الثانية: بيوت تبنى على غير محبة وعلى غير رحمة، فهذه عذاب ونهايتها فراقٌ وضياعٌ؛ لأن الزوجة مهما عملت من خيرٍ فالرجل لا يرى ذلك الخير؛ لأن الحب غير موجود.

وعينُ الرِّضا عَن كلِّ عيبٍ كليلةٌ *** ولكنَّ عينَ السّخطِ تُبدي المَساويا

فمهما يعمل الرجل أو بالعكس تعمل المرأة من خير فلا يرى ذلك خيرًا، وإن حدث تقصير من أحد الزوجين فلا رحمة ولا عذر ولا شفقة، كل واحدٍ من الآخر يريد من الأخر أن يكون له مثل الآلة، ينفق ويعمل دون نظر إلى جانب الرحمة، فهذه البيوت غالبًا لا تدوم.

الحالة الثالثة: بيوت بنيت على حب ولا رحمة فيها، فهذه أيضًا يترتب عليها نوع شقاء وخلافات ومضايقات، فإن استمرت الحياة فهي مستمرة على تعكر ونكد.

الحالة الرابعة: بيوت تبنى على رحمة ولا حب فيها، فهذه البيوت تدوم، لكن مع فقر المشاعر، ونقص في الأحاسيس والعاطفة لكنها قد تدوم، وقد تُستجلب المحبة إن أحسن أحد الزوجين؛ لأن العشرة الحسنة تستجلب المحبة، قال عمر رضي الله عنه لرجلٍ أراد أن يطلق امرأته: لم تطلقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: "أَوَكُلُّ البيوت تبنى على الحب؟ أين الرعاية والتذمم؟" إن لم يكن هناك حبٌّ وكان الرجل تقيًا فلن يظلم، إذا كان هناك رحمة ولم يكن حب أو الحب ناقص أو قليل فإن الرجل لن يظلم، فسيعطي رعاية وتذمما، الرعاية حسن المعاملة وأداء الحقوق، والتذمم حفظ الصاحب لصاحبه حتى يطرح عن نفسه ذم الناس، لابد من رعاية ولا بد من تذمم.

الفائدة الرابعة: على أولياء الأمور من أباء وأمهات أن يتقوا الله في بناتهم، فإذا جاء الكفء فعليهم أن يزوجوهن، فلا يغش ولي الأمر ابنته بالكتم، قد يأتي رجل صالح ويعلم أنه صالح فلا يخبر ابنته به، وكأنه لم يأت، أو ذمه بغير حقٍ، أو بتقديم من لا يناسب لها ممن كان الأول أفضل منه في الدين والخلق، فيقدم من لا يناسب بسبب من أسباب المعروفة كقرابة أو مال أو قبيلة أو مصلحة معينة، فيضيع ابنته من أجل مصلحته، قال الأحنف بن قيس: : «أَفْعَى تُحَكِّكُ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَيِّمٍ قَدْ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُوءًا» (ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (1/284)) ، يعني يكون في بيتي أفعى وأتأذى منها وقد تقتلني أحب إلي من أن أرد كفوًا أتى لابنتي؛ لخطورة مثل هذه الأمور التي قد لا يفقهها بعض الناس.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

الناس كالشجرة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ، فَأَصْبَحُوا شَوْكًا لَا وَرَقَ فِيهِ، إِنْ نَقَدْتَهُمْ نَقَدُوكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَا يَتْرُكُوكَ قَالُوا: فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: تُقْرِضُهُمْ مِنْ عِرْضِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ»

ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (32/1)

التعليق

هذا الأثر من هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه يفيدنا فوائد في منها:

الفائدة الأولى: تغيُّر الناس من زمانٍ إلى زمانٍ، وتغير الأحوال وهذا يعطي العاقل معرفة كيفية التعامل مع هذه التغيرات، فيعامل الناس على أساسين: أساس شرعي وأساس مقاصدي مصلحي، يعني أن ينظر إلى الناس من منظور شرعي، فإن فقد المنظور الشرعي تخبط في المعاملة، ثم ينظر إلى المصالح والمقاصد في معاملته ومخالطته للناس كيف يخالطهم، ومن يخالط، ومتى هي أوقات المخالطة حتى لا توقع في المفسدة.

الفائدة الثانية: تقسيم الناس إلى صنفين:

الصنف الأول: كشجرة مورقة مثمرة، لا أذى فيها، فهم كشجرة جميلة في منظرها، وملمسها لطيف وثمرتها، لا أذى فيها.

الصنف الثاني: من الناس كشجرة لا ورق فيها، ولا ثمرة تجنى منها، وملمسها مؤذي لما فيه من الشوك، لا تسر نظرًا، وتجرح يدًا، ولا تستفيد منها ثمرًا.

فالصنف الأول هم من تُخاويهم في الحل والترحال، ووقت الشدائد، هم من تشكو إليهم وتستشيرهم وتصاحبهم، والقسم الثاني تداريه مداراة في تعاملك، كما تعامل شجرة ذات شوك تقرب منها وتلمسها وتتوخى شوكها وتنحيه فأنت تداريه، والمدراة من خلق المؤمنين، وتدل على عقل الإنسان وفطنته، ومن لا يداري فإنه لابد له من عثرة في حياته.

الفائدة الثالثة: وصفُ أبي الدرداء الصنف الثاني بوصفين:

الوصف الأول: بأنهم إن نقدتهم نقدًا بناء ونصحتهم نصيحة لله نقدوك نقد عداء؛ لأنه يرى النصيحة طعنًا فيه، وتنزيلاً من شخصيته ومقامه، فلا يقبل النصيحة، فمباشرة يهاجمك بالنقد والكلام والذمّ عند الناس.

الوصف الثاني: إن تركتهم ولم تتكلم فيهم ولم تناصحهم تكلموا فيك، فلم تسلم منهم ناقدًا، ولم تسلم منهم ساكتًا، ولا بد لك من العيش معهم، فما هو الحل؟

حلّ من الحلول ما ذكره أبو الدرداء تقرضهم من عرضك إلى يوم الدين، يعني أن تصبر عليهم، وتحتسب في كلامهم فيك الأجر؛ لأنه بذلك تأتيك حسنات من غير تعب، تؤجر وتثاب في يوم أحوج ما يكون الإنسان فيه إلى حسنة، قال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (مسلم (2581).) ، هذا هو يوم الفقر.

وكونك تصبر على أذاهم ليس بالسهل بل يريد انشراح صدر كبير وصبر عظيم مع معرفة الثمرة من السكوت.

واحذر في هذا المقام أن ترد عليهم بنفس طريقتهم؛ لأن مبنى كلامهم على جهل أو هوى أو حسد فردك عليه بنفس طريقته لا يطفئ حرَّ ما في قلبه فلن تصل معه إلا إن سكت واحتسبت ومع حسن المعاملة ينقلب العدو حميمًا، وكما قيل:" من وسعك شتمًا وسعه حلمًا"، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، فمعاشرتهم بالحسنى ولقاؤهم بالبشر يقلل الأذى، ويقلب الحاسد العدو صديقًا، وهذه ثمرته مجربة، العداء لا يأتي إلا بعداء، والصبر مع الحكمة والهدوء والحلم واللقاء الطيب، يأتي بالصفاء، لذلك قيل للعتابي: إنك تلاقي الناس كلهم بالبشر -بشوش يرحب بهذا ويلاقي هذا كلهم حتى أعداءه- فقال كلمة جميلة: «دفع ضغينةٍ بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول»(بهجة المجالس (ص143).)، لاحظ العبارة جميلة وصدق القائل:

أخو البِشرِ مَحمودٌ عَلى كُلِّ حالَةٍ *** وَلَن يَعدَمَ البَغضاءَ مَن كانَ عابِسا

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن معين أئمة الدين

انتشار الشر يزيد في همة أهل الخير

عن جعفر قال: دخلنا على أبي التياح نعوده، فقال: «والله إنه لينبغي للرجل المسلم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك جدًّا واجتهادًا، ثم بكى» حلية الأولياء (83/3).

التعليق

هذا الموقف يبين لنا بعض الأمور، ونستفيد منه بعض فوائد:

الفائدة الأولى: أنه قد يأتي على الناس زمانٌ ينتشر فيه التقصير والتهاون بأمر الله، فقد يرى الرائي المنكرات وبعض الكبائر، وتساهل بعض الناس في المعاصي، وهذا موجود في زمان وفي كل زمان لكنه يتفاوت بين الكثرة والقلة.

والناس ينظرون إلى هذه المعاصي كل بحسب منظوره:

فمن الناس من هو أساسٌ في هذا التهاون في أمر الله، والتقصير في طاعة الله، ونشر المعاصي والفتن والفساد.

ومن الناس إمّعة، أتباع كل ناعق، يتأثر بتهاون الناس فيتهاون، ويرى تقصير المقصرين فيقصر، ويقول: الناس كلهم هكذا وأنا مثلهم، فهذا يغالط نفسه ويخسر شيئًا من دينه، ويزيد في الفساد في مجتمعه.

ومن الناس من يرى شيئًا من هذه المنكرات فيتأثر ويتألم لكنه سرعان ما يتعود على تلك المناظر، فبالأمس متألمًا واليوم متأملاً، فتهون عنده تلك المعاصي وتلك المنكرات، فبعد أن كانت عظائم أصبحت في عينه مثل القشة صغيرة لا أثر لها، وهذا لا شك أنه مقصر ولابد أن الخطر سيصل إليه إن استمر على حاله.

ومن الناس من يتألم ثم ينظر إلى الأخطاء والمعاصي والمنكرات التي في مجتمعه نظرة اليائس، فتسودُّ الدنيا في عينه، فيعتزل وينطوي، أو يترتب على ذلك أنه يرى الناس هلكى وهو أحسنهم، فيعجب بنفسه، ويزدري غيره، وهذا جاء فيه الحديث: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» رواه مسلم (2623)، وهذا في الحقيقة لا يساهم في نفع مجتمع وتحصينه، بل لا يزيده إلا مضرة.

ومن الناس من يتألم، ويريد أن يغيّر ويعالج ويصلح لكنه يبني ذلك على جهل واندفاعية وسوء عمل، فيفسد أكثر مما يصلح، وأشد من هذا إذا كان ينظر إلى المنكرات والمعاصي بنظرة حزبية منحرفة، فيرى أن الناس في جاهلية، فيكفر الناس، ويدعو إلى الخروج عليهم، وهذا شر وفساد، زاد على الشهوة شبهةً، وزاد في الشر مضرةً.

ومن الناس من يتألم ويحزن، لكنه ينظر إلى المنكرات والأخطاء من منظور شرعي صحيح فيعلم أن ما وقع فبقضاء الله وقدره، فيؤدي حق الله في النصح بعلمٍ، والتوجيه بحلم مع صبر وتأنٍّ، فهو في نفسه ثابت ولغيره مصحح مثبِّت، يعتني أولا بأسرته تعليمًا وتوجيهًا وبأقاربه، فيساهم في الخير فهؤلاء كما قال النبي ﷺ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ يَوْمَئِذٍ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: الَّذِينَ يَصلحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» مسند أحمد (16690).

الفائدة الثانية: أن الباطل لا بد أن يزيد من العاقل اجتهادًا فعندما يرى العاقل الباطل والشر والمعاصي والأخطاء لا بد أن يزداد في الخير نشرًا وتعليمًا ومقاومةً وصبرًا ومدافعةً للباطل، ولا يكون ذلك إلا بهمة عالية واجتهاد وجدّ من أهل الحق، فأهل الحق بإذن الله منصورون، والحق بإذن الله غالب، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]، فلا ينظر الإنسان إلى الباطل أنه منصور، وأن الفساد انتشر، ويتخاذل عن نصرة الحق.

أبن وجه قول الحق في وجه سامع *** ودعه فنور الحق يسري ويشرق

الفائدة الثالثة: إذا أراد المجتمع تخفيف الباطل والمنكرات فلابد عليه من أساس مهم وهو العلم، لا يستطيع الإنسان أن يجلو الظلم دون نور، ومن طرف آخر لا بد من كشف بيان الجهل وخطره، وخطر أهل الباطل وتلبيسهم الحق بالباطل؛ لأن من أسباب انتشار الفساد أن أهل الباطل يلبسون الحق بالباطل، فيخرجون الباطل في صورة جميلة، ويخرجون الحق في صورة مستهجنة قبيحة، فيتبع الناس ذلك الباطل لأنه مزخرف مزين وكما قال بعضهم:

ما كان في ماضي الزَّمانِ مُحَرَّمًا *** لِلنَّاسِ في هذا الزَّمَانِ مُبَاحُ
صاغوا نُعُوتَ فضائلٍ لِعُيُوبِهِمْ *** فَتَعَذَّرَ التَّمْيِيزُ والإِصلاحُ
فالفَتْكُ فَنٌّ وَالخِداعُ سياسَةٌ *** وغِنَى اللُّصُوصِ بَرَاعَةٌ ونجاحُ
والعُرْيُ ظَرْفٌ والفسادُ تَمَدُّنٌ *** والكِذبُ لُطفٌ وَالرِّيَاءُ صَلَاحُ

أخيرًا كيف يتسلل هذا التهاون في القلوب، وكيف يهون فيهم أمر الله، إنما ذلك يدخل تسللاً، أول ذلك بالبعد عن الصدق مع الله والنفس، ثم بالبعد عن أهل الخير ومجالسهم، فيبدأ بالانشغال بالمباحات، ثم تجده بالمكروهات، ثم بالصغائر، ثم ببعض الكبائر يتهاون خطوة خطوة، فالعاقل لا يجعل نفسه تتهاون في المباحات؛ لأن كثرة المباحات تسهل الوقوع في المكروهات، وسهولة الوقوع في المكروهات تسهل الوقوع في المحرمات، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه.

ومنْ لم يتقِ الضحضاحَ زلَّتْ *** بهِ قدماهُ في البحرِ العميقِ

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدِّين

كيف تسلط الغموم

قال الحسن البصري رحمه الله : «إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن في عمله ما يكفرها سُلطت عليه الغموم، فتكون كفارة ذنوبه» سنن الصالحين وسنن العابدين للباجي (2/664).

التعليق

هذا الأثر فيه بعض الفوائد:

الفائدة الأولى: خطر الذنوب والمعاصي على العبد، فلا يستهين بها ولا يتجاسر عليها، وإن كانت صغائر؛ لأن الصغائر تجتمعُ على الإنسان كالأعواد، فينظر إليها الإنسان على أنها صغيرة ثم تكبر فتكبر فتشتعل، ومن خطر الذنوب ما قاله ابن القيم في «طريق الهجرتين» (1/272) : «سواد الوجه وظلمة القلب وضيقه وغمه وحزنه وألمه، وشدة قلقه، واضطرابه وتمزق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعريه من زينته بالثوب الذي جمله الله وزينه به، والقسوة والحيرة في أمره، وتخلي وليه وناصره عنه، وتولي عدوه المبين له ... فإنّ الذنوب تميت القلوب وتورث الذل بعد العزة، ويصير الإنسان أسيرًا، ويضعف ويزول أمنه وأنسه ورضاه، وتزول طمأنينته، ويقع في بئر الحسرات» إلى آثار كثيرة ذكرها رحمه الله ، فعلى العبد أن يحاسب نفسه وأن يستغفر ربه من هذه الذنوب.

الفائدة الثانية: أنه ينبغي على الإنسان أن يعمل أعمالاً تكفر له تلك الذنوب، والذنوب كما تعلمون على صغائر وكبائر، فلا بد أن يأتي بأعمال تكفر ذنوبه، ولابد للإنسان من سقطات وزلات وهفوات، فيكثر من الأعمال الصالحات، ويتعاهد نفسه بالتوبة، فإن كانت صغائر كفرت بالأعمال الصالحات، وإن كانت كبائر كفرت بالتوبة.

الفائدة الثالثة: قد يكون في بعض أبواب المكروهات التي يكرهها الإنسان رحمة به من حيث لا يشعر، فهذا عبد عنده من الذنوب ما عنده وهو قليل الأعمال، فلا تكفر عنه تلك الذنوب، فيرسل الله سبحانه وتعالى له هذه الغموم والهموم والأحزان التي تؤلمه فتكفر عنه تلك السيئات والذنوب، فيظن العبد أن ذلك شرٌّ، وهو في الحقيقة رحمة له؛ لأن الحزن المؤلم والهم الموجع هو في حقيقة في الآخرة ، عندما تفوت على العبد منازل الصالحين، أو يقع في دركات السافلين، فيتقطع قلبه حسرات، ويتألم ألمًا بعد ألم على فوات تلك المنازل، وذهاب تلك المسرات.

الفائدة الرابعة: أن الهموم والغموم والأحزان لها أثرٌ على الإنسان في سيره وعمله، فالحزن غالبًا يكون من أمر قد مضى، والهم يكون من أمر مستقبل، والغم يكون من أمر حاضر ملامس بك في يومك، وهذه الأحزان لها أثر كما قال ابن القيم أيضًا في «طريق الهجرتين» : «والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه، وذلك لأنّ الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: 10] ، فالحزن مرض من أمراض القلب، يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره»، إذًا هذا الهم والحزن يؤثر في قلب الإنسان، فلابد من عالجه.

فأول تلك العلاجات: أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الهم والغم والحزن قد يكون بسبب الذنب، فتوبتك إزالة للذنب الذي هو سبب للهم والغم والحزن، وإن كان ابتلاءً فرجوعك إلى الله سبحانه وتعالى يرفع ذلك الابتلاء ويخففه، فأنت في رجوعك إلى الله في كلا الحالتين مستفيد منقذ لنفسك من ذلك الهم والحزن.

الأمر الثاني: ذكر الله، ذكرًا بالأفعال وذكرًا بالأقوال، فالذكر بالأقوال أن يكون قارئًا لكتاب الله، فهو الذي يزيل الهم والحزن والغم، أن يكون ذاكرًا لله في صباحه ومسائه وأكله وشربه ومخرجه ودخوله، وأن يكون ذاكرًا لله بالأفعال : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 14] فيصلي، فالصلاة مما تريح القلب، وتجلو الهم، وتذهب الغم والحزن. ويعبد الله سبحانه وتعالى متقربًا إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض والنوافل، فكل عمل صالح له أثر في إزالة ما يكون على العبد من تسلط هم.

ثالثا: استغلال الوقت، فلا يجعل الوقت يذهب عليه سدى، لا يجعل وقته فراغًا هكذا لا يعمل، لا يتحرك، لا يقرأ، لا يكتب، لا يزور، فالفراغ قبل أن يكون فراغًا للجوارح فهو فراغ للقلب، وإذا فرغ القلب تسلطت عليه الأمراض، وأخطر من هذا أن يستغل وقته فيما فيه مرضه وقتل قلبه، فيستغل وقته فيما فيه معصية ربه.

رابعًا: صحبة الأخيار، أهل التقوى، أهل العلم، أهل الفضل، أهل المكارم والأخلاق، الذين يذكرون بطاعة الله التي ترفع الهموم والأحزان، وإن تفاكهوا فمفاكهتهم أنس فيما ليس فيه معصية لله، فأنت معهم تطيع الله وتجمُّ قلبك.

خامسا: الدعاء، فالنبي ﷺ كان يستعيذ من الحزن، فيكثر الإنسان من الاستعاذة من هذه الهموم والأحزان والغموم.

سادسًا: رفع الحزن عن المحزونين، وتفريج كرب المكروبين، وتخفيف الهم عن المهمومين، والجزاء من جنس العمل، فرب درهم أو ابتسامة أو زيارة رفعت حزنًا يرفع الله لك مثله عنك.

سابعًا: التفكر الصحيح، الإنسان أسير تفكيره، فبعض الناس تمر به الأحزان والهموم صغيرة، تفكيره يجعلها كبيرة، وبعض الناس ليس عنده هم وحزن، لكنه يهم نفسه ويحزنها ويغمها، ومن التفكير الصحيح في هذا الباب أنه يعلم أن تفكيره في حزن الماضي لن يغير من الأمر شيئًا، والتفكير في هم المستقبل لن يغير من قدر الله شيئًا، وأما غم يومك فاجعله بين يدي ربك، بأن تكون مع الله، بين صبر وشكر.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

مِن مَعين أئمة الدين

مما يذهب الوحشة

عن مُحَمَّدِ بْنُ عَلِيِّ النَّحْوِيِّ قال: وَدَّعَ رَجُلٌ صَدِيقًا لَهُ فَقَالَ لَهُ: «اسْتَعِنْ عَلَى وَحْشَةِ الْغُرْبَةِ بِقِرَاءَةِ الْكُتُبِ، فَإِنَّهَا أَلْسُنٌ نَاطِقَةٌ، وَعُيُونٌ رَامِقَةٌ» تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص124).

التعليق

هذا الأثر في بيان أهمية الكتاب وأثره على الإنسان وهو يتضمن ما يلي:

أولًا في قوله: «وَعُيُونٌ رَامِقَةٌ»، يعني كأن الكتاب عين رامقة تنظر إليك، وتصحح فيك الخطأ، وهذا مهم، ومحروم من لم يستمتع بقراءة الكتب؛ لأن الكتاب كما قال أهل العلم: "تؤدبك عجائبه، وتسرك طرائفه، وتضحكك مُلحه ونوادره، وهو نزهة الأديب عند لذته، ومتعته عند خلوته"، فالكتاب كنز فيه من أجمل الكنوز والفنون والدرر والملح التي ترقي النفس، وتزكي وتقوي المعارف، وتوسع المدارك، حرمها من لم يفتح فيقرأ.

قيمة الكتب أجل القيم ... عند من يعرف وضع الكلم
جمعت من كل فن حسن ... وغريب من ضروب الحكم

مهم جدا أن يعوِّد الإنسان نفسه على قراءة، ولابد أن يعرف أن هناك معوقات وأسباب تمنعه من ذلك،

-1على رأسها الشيطان؛ لأن الشيطان يعلم أن في قراءة الكتب قمع له، وتبصرة لك منه وعليه.

-2ضعف اللغة، هو يتكلم باللغة العربية لكنه لا يحسن القراءة باللغة العربية الفصيحة، وإذا قرأ فكأنه يقرأ كلامًا أعجميًّا لا يُفهَم.

-3سوء اختيار الكتاب الصحيح، فبعض الأحيان يتحمس الإنسان في قراءة بعض الكتب، فيدخل في كتب عويصة، قد تكون جيدة مفيدة لكنها غير مناسبة لهم في هذه المرحلة.

-4سوء النسخ والتحقيق هذه في العصر هذا من الأسباب التي تمنع طالب العلم من القراءة.

-5الركون إلى الوسائل الحديثة، والقراءة من خلالها حيث أنها سهلة الوصول والفتح والنظر، وهذه قد خطفت القراء مفيدة لكن لا يركن إليها فما أتى بسرعة ذهب بسرعة؛ لهذا تقرأ في اليوم مئات الفوائد ولا تحفظ منها إلا القليل، أما الكتاب ففائدته عظيمة جدا من رسوخ المعلومة وثباتها، ومعرفة مرجع الكتاب، ومظان الفائدة ما لا تجده في هذه الوسائل الحديثة.

-6تضيع الوقت أو عدم تنظيم الوقت أو اختيار الوقت غير المناسب، فإما أنه مضيع لوقته في التافهات وما لا فائدة منه فهو غير محب للقراءة أصلًا، وإما أنه محب لكن لا ينظم وقته فلا يستمر إن قرأ، وإما أنه يختار وقتًا غير مناسب فيقرأ بلا فهم أو مع ثقل.

-7ضعف الهمم، ضعف الهمة يجعل الإنسان يتثاقل في قراءة الكتب ولو نظر إلى آثار أئمة الدين قبل من القراءة والكتب من يختم البخاري في أربعة أيام قراءة، من قرأ سير أعلام النبلاء، تاريخ الإسلام والذي يقرأ التمهيد ثلاثين مرة، همة في القراءة عجيبة.

-8عدم اتباع المنهجية الصحيحة، أو عدم معرفة مفاتيح الكتاب، من لم يكن عنده المفتاح لم يفتح له الباب، والكتاب له مفتاحان: مقدمته وفهرسته، إذا نظرت في الفهرسة عرفت محتوى الكتاب، وإذا قرأت في المقدمة عرفت منهج الكاتب وطريقة الكتاب، وما هو مقصوده في التأليف، وعلى أي أساس ألف الكتاب، فإن ضعفت الهمة عن قراءة المقدمة لا أقل أنك تتصفح الفهرسة حتى تعرف عن ماذا يتكلم الكتاب.

-9عدم وجود المكتبة المنزلية، ينبغي لكل طالب علم بل لكل أسرة أن تضع في بيتها مكتبة، فيها فنون متنوعة يقطف ثمرة ويأكل، فيقطف من هذا ثمرة ويأكل، ويتلذذ فسيجد بعد ذلك نتاج هذه المكتبة المنزلية، فإذا لم تكن هناك من في المنزل مكتبة، أين سيذهب يقرأ،

وفي الحقيقة عدم القراءة آفة عصرية، تعوّد الناس فقط على تلقي المسموع والمرئي، وهو جزءٌ من أجزاء التعلم، وعلاج هذه الآفة يكون بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى ، ودعائه بالعمل بضد أسباب عدم القراءة.

أخيرًا تنبيه: وهو أن طالب العلم والقارئ لن يرتقي في العلوم إلا بخمسة أسس، إذا نقص منها أساس صار نقصًا في طالب العلم والقارئ:

أهمها وأولها: التأسيس والتأصيل في حفظ الفنون والمتون، ودراسة أصولها.

الأساس الثاني: حضور الدروس العلمية، وهذا يسهل لطالب العلم فهم كثير من المسائل المشكلة، والنقص في ذا الباب من ثلاث جهات: بعدم حضور حقيقة أو حكمًا، وعدم التحضير قبل الدرس والمراجعة بعده.

الأساس الثالث: القراءة المنهجية العلمية، وهي ما يقرأه على شيخ وما قرأه بمفرده وكلها تحتاج إلى المنهجية الصحيحة المرتبة.

الأساس الرابع: الاستشارة في القراءة والسؤال عند الإشكال.

الأساس الخامس: المدارسة مع الزملاء مدارسة العلم مع الزملاء وهو من أقوى الأشياء التي تثبت العلم، فالعلم حياته بمذاكرته لأن الإنسان إما أن ينسى أو يغفل والمدارسة تذكر وتجلي الغفلة.

هذه الأسس الخمسة مهمة، فكل ما كان طالب العلم ينهل منها يسير عليها بقوة فسيجد عنده انطلاقة كبيرة، وإذا أنقص نقص، حتى يكون اسمًا بلا حقيقة مع الركب لكنه ضعيف والمؤمن القوي أحب إلى الله وأفضل.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

كيف تتعامل مع البدعة

عن سفيان الثوري رحمه الله قال: «من سمع ببدعة، فلا يحْكِها لجلسائه، لا يلْقها في قلوبهم» قال الذهبي معلقا :«أكثر أئمّة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة».

سير أعلام النبلاء (261/7).

التعليق

فهذا الأثر مهمٌّ لكل مسلم، وفيه فوائد:

الفائدة الأولى: خطر الشبه على القلوب، فإنها إن وقعت في الأسماع أثّرت في القلوب ولابد، فلا يزال الشيطان يسقيها بوسواسه حتى ترسخ، فيصعب خروجها، أو تكون سببًا لضعف القلب.

الفائدة الثانية: نتائج البدع والشبه والأقوال الفاسدة على القلب تختلف باختلاف الإنسان، وهم على أصناف:

فمن الناس من تحدث له هذه الشبهات جهلًا وانحرافات وضلالات، وهو القلب الفارغ الذي لا علم عنده لكونها شبهة ولا علم عنده بالحق.

والصنف الثاني من الناس من تحدث له شكًّا وريبة، وزعزعة ومصارعة في قلبه، وهو من عرف كونها شبهة بصورة مجملة، ولا عنده من الحق ما يرفعها ويدفعها.

والصنف الثالث من تحدث له الشبهة يقينًا وثباتًا، وهؤلاء أقل الناس، وهم من كان عنده معرفة بالحق يستطيع فيه أن يدفع الشبهة، ويعرف أن كونها شبهة على التفصيل فهو عالم بكونها شبهة ،وعنده من العلم ما يدفع هذه الشبه، وأكثر الناس من الصنف الأول والثاني.

الفائدة الثالثة: أن الأصل عدم نشر البدع والشبه، وعدم تناقلها وإيرادها على المسامع والآذان، وهنا أود أن أنبه نفسي وإياكم إلى أنه قد يغفل بعض طلبة العلم، فيلقي بعض الشبه على أهله، وأبنائه وزوجته وإخوانه، من باب الحكايات ونقل الأخبار، وهو عنده من العلم ما يدفع به الشبهة، لكن الأبناء ليس عنده ذلك فيتأثرون من حيث أردت التحذير، والأصل أنك لا تذكر الشبهة.

الفائدة الرابعة: إذا ذكر الإنسان الشبه والبدع، فليكن مضطرًا إلى ذلك وهذا الاضطرار على درجات:

الأول: ذكر الشبهة بصورة ضعيفة، يستطيع من لا علم عنده أن يدفعها، تقول له من شبهة جهمية نفي أسماء الله وصفاته، لا تأتي بشبه الجهمية وقواعدهم وتفصيلاتهم وأدلتهم، فتذكر الشبهة بصورة ضعيفة يستطيع أن يقاوم قلبه هذه الشبهة.

الثاني: فإذا اضطر إلى ذكرها بتفصيل فلابد أن يعقبها برد مفصل، قوي يزيل الشك، فبعض الناس قد يكون سببًا لثبات الشبه، برده الضعيفة.

تنبيه: اليوم انفتح علينا العالم عبر مواقع التواصل الاجتماعي فصارت البدعة تأتي من كل صوب وحدب على كل أحد وهو فعلًا خطر خطر خطر، وهنا لا بد أن نقف وقفة

فأولًا: لا بد أولًا أن نرجع إلى الأصل والأساس وهو التحصين العقدي الصحيح، أحبتي مهم لابد في كل بيت، أن تقرر العقيدة الصافية قررها بأدلتها، كرر وكثر ونوع.

ثانيًا: يجب عليه أن لا ينشر، لا تسهم وتساعد في نشر الباطل، وأنت تريد التحذير، لا، ستقول آلاف الناس ينشرون، كن أنت واحدًا مما لا ينشر، فسيقل الضرر؛ لأن الواحد اليوم ينشر فتصل رسالته إلى ألف.

ثالثًا: إن كنت ستنشر فانشر الردود على تلك الشبه، إن كنت ستنشر فاجتهد، واحرص وسارع وبادر بنشر التأسيس الصحيح والرد على تلك الشبهات حتى ينتفع المجتمع.

وأذكر لكم موقف هنا جميل لأحد العلماء من علماء المالكية اسمه البهلول ابن راشد، يقول أحد أصحابه: كنت مع البهلول ابن راشد جالسًا ومعه رجلٌ عليه لباس حسن الهيئة، يعني يظهر عليه أنه إنسان عنده علم، فقال البهلول لهذا الرجل: أود أن تذكر لي ما تحتج به القدرية، كانوا في مجلس عام، قال: أود أن تذكر لي ما تحتج به القدرية، فسكت الرجل حتى تفرق الناس، وسكت فما رد على سؤال العالم الذي سأله، لكن هنا مصلحة أعظم لما تفرق الناس قال له: يا أبا عمر إنك سألتني عما تحتج به القدرية وهو كلام تصحبه الشياطين؛ لأنه سلاح من سلاحهم، فتزينه في قلوب العامة، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكلم به من ذلك، فلا آمن أن يحلو بقلبه منه شيء، أين المصلحة؟ ما في فائدة من ذكر، وعندنا ما لا يستطيع يفهم شبه القدرية وأدلتهم، فكان جواب ذاك العالم أنه قال: «والله لأقبلنّ رأسك، أحييتني أحياك الله»(رياض النفوس (1/204)) ، فهذا الذي قاله الذهبي المنهج الذي يمشي عليه سلف هذه الأمة التحذير من هذه البدع، ويرون أن قلوب الناس ضعيفة والشبه خطافة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحمينا وإياكم من مضلات الفتن ومن الأهواء والبدع.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

قواعد الثبات والاستقرار

يذكر أهل العلم أن هناك ثلاث قواعد مهمة في استقرار الإنسان في حياته واستقامة معيشته، ولا يكون مستقرًا إلا بتكميل هذه القواعد تحقيقها والعمل بها:

القاعدة الأولى: قالوا: نفس مطيعة، والقاعدة الثانية: ألفة جامعة، والقاعدة الثالثة: بلغة من العيش كافية.

التعليق

فالقاعدة الأولى: أن تكون النفس مطيعة لينة، ترى الرشد فتتبعه، وترى الغيّ فتبتعد عنه، إن رأت أوامر الله سارت عليه، وإن نظرت فيه مناهي الله اجتنبتها، وهذا أصل سعادتها واستقرارها، فإن الدين المستقيم القويم متى استقر في القلوب أثمر حياة طيبة، ومتى كان الإنسان في معزل عن دينه أو بعد عن دينه أو تقصير في دينه وبعد عن ربه وعن سنة نبيه ﷺ، فلابد أن يعيش حياة ضنكة فيها نوع من الشقاء على حسب بعده عن دين الله سبحانه وتعالى ، وهنا يغفل بعض الناس عن هذا الملحظ، فلا يدري ولا يعلم أن سعادته الحقيقية هي بامتثال دين الله، لذلك مهما زادت الدنيا بين يديه لا يشعر بحلاوة هذه الدنيا، ومهما كان عنده من الأموال لا يستطيع أن يذوق جماله؛ لأن القلب في الحقيقة ليس بمستقر ولا ساكن بطاعة الله، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124].

القاعدة الثانية: ألفة جامعة، لا بد أن تكون هناك ألفة، هذه الألفة جامعة التي يظلها العطف، والرحمة، والمحبة، قالوا وأسباب هذه الألفة الجامعة خمسة حتى نعيش في هذه الألفة والمجتمع في ألفة ومحبة لابد لي من خمسة أسباب:

الأول: تحقيق الدين، فإن الدين أقوى ما يجمع بين المسلمين، وبالبعد عن الدين يتفرق المجتمع، ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32].

السبب الثاني: نسب يوصل، والنسب على ثلاثة أقسام: أب وأم لا بد من برهما، وإخوة وأخوات لابد من الرحمة بينهم، وأقارب لابد من صلتهم، وزد عليها أيضًا أبناء لابد من تربيتهم.

السبب الثالث: المصاهرة، أي أن يصاهر زوجة صالحة، وتتزوج المرأة زوجا صالحًا؛ لأن استقرار الحياة حتى تكون سكنا مليئة بالمودة والرحمة، لا بد أن تكون بين زوجين صالحين متصفين بالأخلاق الحميدة يؤدون حقوق بعض، وإلا اختلت هذه المنظومة الصغيرة لذلك أول الخلل في الحياة الزوجية الاختيار، فإن اختار الرجل أو قبلت المرأة ممن ليس من أصحاب الدين والتقوى والأخلاق فإنه لابد أن يكون في هذه الحياة شيء من النكد.

السبب الرابع: صحبة متوددة صحبة يجمعهم تقوى الله والمحبة في الله، يتوادون في الله يجتمعون عليه، ويفترقون عليه نصحاء صادقون معاونون متآلفون متحابون، وقد عدّ بعض أهل العلم أن الصحبة الصالحة من العيش الطيب.

السبب الخامس: البر بجميع الناس أن يكون بارًّا محسنًا بجميع الناس قولاً وفعلاً، لذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 2]، التعاون على أن يكون تعاوننا وترابطنا وتآزرنا على تقوى الله وعلى البر.

القاعدة الثالثة: بلغة من العش كافية، يعني أن يعيش الإنسان لا من أجل الدنيا، لا من أجل التجميع والتكديس، لا يلهث خلف الدنيا ولا يطمع فيما في أيدي الناس، ولكن يأخذ من الدنيا ما يكفيه في هذه الدنيا ليوصله إلى الله، فمن تشعبت الدنيا في قلبه تشتت قلبه ولم تستقر حياته، فيأخذ من الدنيا الأصل، ولا يتتبع الفروع فيضيع في تتبع فروعها وينتهي عمره ولم يحصل إلا ما كتبه الله له ، لذلك بعض أهل العلم كان ينظر إلى الأمور الدنيوية التي تشغل قلبه وهي زائدة ليست من الحاجيات فيتخلص منها كما فعل ابن عمر لما باع بعيرًا نفيسًا فقيل له يعني يعاتبونه لماذا بعته؟ فقال قد شغلني، يعني شغلني بالتفكير.

فهذه القواعد الثلاث مع تفصيلات فيها كثيرة هي مما يجعل الإنسان مستقر في حياته، فلابد عليه من أن يحافظ على دينه، ولابد أن على الجماعة التي هو فيها، ولابد أن يكون في هذه الدنيا في بلغة تكفيه، وقد قال النبي ﷺ في قضية البلغة: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» (رواه مسلم (1054)) ، عنده قناعة بما آتاه، أما عدم القناعة فيما أتاك الله سبحانه وتعالى ينشغل قلبك فيما ليس عندك فلا تدرك ذاك الشيء، ولا أنت سليم من تبعاته.

سِلسِلة

مِن مَعين أئِمة الدِين

تمت بحمد الله

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net